سُلَّمُ الْوُصُولِ

فِي شَرْحِ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ

للإمام محمد بن عبد الوهاب

رَحِمَهُ اللَّهُ

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان
+٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ - +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢
عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف محطة النهدي
+٩٦٧٧٧٠٠١٢٥٢٢
حضرموت الحامي - جوار مسجد أنور - الشارع الشرقي من النادي
+٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣ - +٩٦٧ ٠٥٣٤١٥٩٨
alshafibooks@gmail.com

سُلَّمُ الْوُصُولِ

فِي شَرْحِ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ

للإمام محمد بن عبد الوهاب

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

تقديم الشيخ

أبي اليمان عدنان بن حسين المصقري

حفظه الله

شرح

أم حفص سيدة بنت عبد الله الحمزي

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ أبي اليمان عدنان المصقري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

أما بعد:

فهذه رسالة قيمة جامعة مباركة في شرح الثلاثة الأصول للشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله تعالى، بشرح الأخت الفاضلة المباركة أم حفص بنت الحمزي حفظها الله ورعاها وبارك لها فيما أعطاها وسدد على الخير خطاها، وهي مع صغر حجمها تعتني بما سيسأل عنه العبد في قبره عن ربه ودينه ونبيه، وما أحوج المسلمين جميعا لفهم ذلك والعلم به علما يقينيا وتكراره وتعليمه للأهل والأولاد.

فهذا شرح مهذب لا بالمطول الممل ولا بالمختصر المخل، يستحق أن يطبع وينشر، نوصي المسلمين بقراءته ونوصي بتدريسه في مراكز أهل السنة ومساجدهم ليسره.

نسأل الله أن يجزي مؤلفته خيرًا على جهدها المبارك، وأن يثبتنا جميعا على دينه إنه على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين.

أبو اليمان عدنان بن حسين المصقري

فجر يوم الخميس ٦ رجب ١٤٤٥ هـ

بمسجد الألباني دار الحديث بدار السلام تنزانيا

❊ ❊ ❊

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴿١﴾﴾ [النساء: ١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴿٧١﴾﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد:

فإن التوحيد هو الفقه الأكبر، وهو أوجب الواجبات، وأول مقام يقوم به السالك إلى ربه، وهو أول دعوة الرسل كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ

أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وعلم التوحيد أشرف العلوم وأجلها، وقد صنف العلماء قديما وحديثا فيه المصنفات الكثيرة ما بين منظوم ومنثور، ومختصر ومطول.

وإن من أنفع وأبرك المختصرات رسالة "ثلاثة الأصول وأدلتها" للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فهي رسالة موجزة نافعة، جامعة في توحيد الربوبية والألوهية والولاء والبراء وغير ذلك من المسائل المتعلقة بعلم التوحيد، وقد تلقاها الناس بالقبول، وأقبلوا عليها حفظا، وشرحا، وتدريسا، وكان من فضل الله علي أن وفقني لشرحها، وهو جهد يسير وعمل متواضع، أسأل الله أن يكتب له القبول، وأن يجعل هذا العمل صالحًا، ولوجهه خالصًا، ولعباده نافعًا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

أم حفص سيدة بنت عبدالله بن أحمد الحمزي

غفر الله لها ولوالديها

القصيم/ المملكة العربية السعودية حرسها الله وحماها

الخميس ٢٩/ جمادى الآخرة/ ١٤٤٥هـ

ترجمة موجزة

للإمام محمد بن عبدالوهاب النجدي

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

نسبه:

هو الشيخ الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف التميمي النجدي.

ولادته:

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بلدة العيينة في سنة (١١١٥هـ)، وهي قرية في شمال الرياض، وكانت محل أسرته.

نشأته:

نشأ في بيت علم وشرف ودين، فأبوه كان القاضي في البلد، وجده الشيخ سليمان كان هو المفتي والمرجع للعلماء، وأعمامه كلهم علماء، فنشأ في بيت علم، وحفظ القرآن قبل أن يكمل العاشرة من عمره، ودرس على والده الفقه الحنبلي والتفسير والحديث.

وكان في صغره مكبًا على كتب التفسير والحديث والعقائد.

وكان يعتني بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم رحمهما الله، ويكثر

من مطالعة كتبهما.

رحلاته في طلب العلم:

رحل الشيخ لطلب العلم وسافر إلى الحج، وبعد الحج ذهب إلى المدينة والتقى بعلمائها في المسجد النبوي خصوصا الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف، وكان إماما في الفقه وأصوله.

ورحل إلى العراق ـ إلى البصرة خاصة ـ وكانت آنذاك آهلة بالعلماء في الحديث والفقه، فأخذ عن علمائها خصوصا الشيخ محمد المجموعي.

دعوته:

ثم رجع إلى نجد واتجه إلى الدعوة والإصلاح ونشر العلم النافع، وكان علماء نجد يعنون بالفقه، وهم في العقيدة على عقيدة المتكلمين من أشاعرة وغيرهم، ليس لهم عناية بعقيدة السلف، وطغت على الكثير منهم الخرافات والبدع والشرك في العبادة، المتمثل بعبادة القبور.

وكانوا متفرقين ليس لهم دولة تجمعهم، بل كل قرية لها أمير مستقل بها، فالعيينة فيها حاكم، والدرعية فيها حاكم، والرياض فيها حاكم، وكل قرية صغيرة فيها حاكم، وكانت بينهم حروب وسلب ونهب فيما بينهم وبين القرى والبادية.

وكانت عبادة القبور والاستغاثة بالأموات منتشرة في بلاد نجد.

فلما رأى رَحِمَهُ اللَّهُ حال المسلمين تحرك للدعوة إلى الله - عز وجل، وقام يدعو إلى الله ويدرس التوحيد وينكر هذه الشركيات والخرافات، ويقرر منهج السلف الصالح، فتكون عنده تلاميذ من الدرعية والعينية ممن أراد الله له الخير، ثم خرج الشيخ من العيينة وانتقل إلى الدرعية، وهنالك التقى بالأمير محمد بن سعود وسأله عن قدومه.. فشرح له الشيخ وبين له أنه ليس عنده إلا دعوة الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم -، وهي الدعوة إلى كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله، وشرح معناها وبين له أنها عقيدة الرسل.

فقال له الأمير: أبشر بالنصر والتأييد.

فرد عليه الشيخ: وأبشر بالعز والتمكين؛ لأن هذه الكلمة - لا إله إلا الله - من قام بها فإن الله يمكن له.

فكان الأمر كذلك، وانتشرت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، ومكن الله للأمير محمد بن سعود رحمهما الله جميعا.

وبحمدالله زالت عن البلاد معالم الشرك والوثنية وعوائد الجاهلية، وتوحدت البلاد وعم الأمن والخير والرخاء؛ ببركة هذه الدعوة السلفية التي هي دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

مؤلفاته:

للشيخ مؤلفات عظيمة القدر كثيرة النفع منها:

١- ثلاثة الأصول - الذي نحن بصدد شرحه إن شاء الله -.

٢- كشف الشبهات.

٣- مسائل الجاهلية.

٤- كتاب التوحيد.

٥ - مختصر الإنصاف والشرح الكبير.

٦- مختصر زاد المعاد.

٧ - الكبائر.

وله فتاوى ورسائل جمعت باسم **(مجموعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب)**.

وفاتــه:

توفي الشيخ في عام (١٢٠٦هـ)، بعد عمر مديد يقارب (٩١ سنة) عمره بالدعوة والجهاد والعلم والتعليم، فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [سورة العصر كاملة].

قَالَ الشَّافِعِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ: بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ (قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ).

الشرح:

(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ): ابتدأ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بالبسملة اقتداء بكتاب الله، وتأسيًا بالنبي ﷺ في مكاتباته ومراسلاته.

(اعلم رحمك الله): اعلم: فعل أمر من علم، ويُبتدأ به للأمور المهمة، كقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، وقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الحديد:٢٠].

وفي قوله (رحمك الله): دعاء لطالب العلم بالرحمة، وهذا فيه فائدتان:

الأولى: أن العلم رحمة.

الثانية: الرفق بالمتعلم والدعاء له.

(أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل): هذا واجب عيني؛ فعلى كل مسلم ومسلمة أن يتعلم هذه المسائل الأربع:

(الأولى: العلم): المراد به هنا العلم الشرعي، وأحسن تعريف له ما عرفه المصنف هنا.

(وهو معرفة الله): معرفة الله تشتمل على ما يلي:

١- معرفة وجوده سبحانه وتعالى، ويدل على ذلك الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

٢- معرفة ألوهيته وأنه المعبود وحده لاشريك له؛ ولذلك خلق الخلق، قال

الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم) اهـ.

٣- معرفة ربوبيته وأنه الخالق المالك المدبر، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ..﴾ الآية [السجدة:٥].

٤- معرفة أسمائه وصفاته، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

(ومعرفة نبيه): أي: معرفة رسوله محمد ﷺ المعرفة التي تستلزم قبول ماجاء به من الهدى ودين الحق، وهذا فرض على كل مكلف؛ لأنه ﷺ هو المبلغ عن أمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١].

(ومعرفة دين الإسلام بالأدلة): أي: معرفه دين الإسلام الذي تعبَّد اللهُ الخلقَ به بالأدلة من الكتاب والسنة.

والإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

وقوله (بالأدلة): جمع دليل، وهو ما يوصل إلى المطلوب، وفيه إشارة إلى أنه لايصح فيه التقليد بالنسبة لطالب العلم ومن لديه القدرة على استخراج الأدلة، أما العوام فلايلزمهم ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣].

(الثانية: العمل به): أي: العمل بالعلم، والعمل هو ثمرة العلم، والله سبحانه قد ذم من لم يعمل بعلمه؛ فقال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٣].

وجاء عند الترمذي (٢٤١٧) عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**»، والحديث صحيح، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٩٤٦).

(الثالثة: الدعوة إليه): أي دعوة الناس إلى العلم النافع والعمل الصالح، وهذه وظيفة الرسل وأتباعهم قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨].

وفي البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

(الرابعة: الصبر على الأذى فيه): أي: الصبر على الأذى في الدعوة إلى الله؛ فإن من دعا إلى الله، وحال بين الناس وشهواتهم، فلابد أن يؤذى كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام:٣٤].

ومن ذلك أيضا الصبر على العلم، والصبر على العمل بالعلم.

وأقسام الصبر ثلاثة:

١- صبر على فعل الطاعة.

٢- صبر على ترك المعصية.

٣- صبر على أقدار الله.

(والدليل): أي: والدليل على هذه المسائل.

والاستدلال على المسائل العلمية هي طريقة السلف.

وأراد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أن يحث على الأخذ بالدليل وترك التقليد.

﴿وَٱلْعَصْرِ﴾: أقسم الله تعالى بالعصر وهو الدهر على الصحيح، وهو زمن تحصيل الأعمال.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾: أي: جنس الإنسان في خسار إلا من استثنى الله سبحانه في هذه السورة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: استثنى الله الذين آمنوا فإنهم ليسوا في خسر، ولا يكون الإيمان إلا بعلم، وهذا دليل المسألة الأولى وهي العلم.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: وهذا شامل لأفعال الخير كلها الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده، الواجبة والمستحبة، وهذا دليل المسألة الثانية وهي العمل.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾: أي: أوصى بعضهم بعضا على الإيمان بالله وتوحيده والعمل بالعلم والدعوة إليه، وهذا دليل المسألة الثالثة وهي الدعوة إليه.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: أي: أوصى بعضهم بعضا على الصبر على تعلم العلم، والصبر على العمل، والصبر على الدعوة، والصبر على الأذى، والصبر على الأقدار والمصائب، وهذا دليل المسألة الرابعة وهي الصبر.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير سورة العصر: (فبالأمرين الأولين: العلم، والعمل؛ يكمل العبد نفسه، وبالأمرين الآخرين: الدعوة، والصبر؛ يكمل غيره) اهـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زاد المعاد (٣/٩): (جهاد النفس أربع مراتب:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا

سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله. فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين)اهـ

(قال الشافعي رحمه الله تعالى): هو محمد بن إدريس الشافعي القرشي، توفي سنة (٢٠٤هـ).

(لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم): هذا الأثر لم أجده بهذا اللفظ، وإنما جاء بلفظ: (لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم) كما ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٥٠).

ومراد الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: أن هذه السورة جمعت أصول الخير.

(قال البخاري): هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة الجُعفي البخاري، وكتابه الصحيح أصح الكتب بعد كتاب الله، توفي سنة (٢٥٦هـ).

(باب العلم قبل القول والعمل): استشهد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هنا بتبويب البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه في كتاب العلم على أنه لابد من العلم قبل القول والعمل، فلايصلح شيء من ذلك إلا بالعلم.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: في هذه الآية دليل على تقدم العلم حيث بدأ بالأمر به، ثم أعقبه بالعمل فقال:

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾: فدل على أن القول والعمل بعد العلم.

(فبدأ بالعلم قبل القول والعمل): التبويب الذي في صحيح البخاري في كتاب العلم: (باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩] فبدأ بالعلم).

* * *

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ المَسَائِلِ الثَّلاثِ، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل:١٥-١٦].

الشرح:

(اعلم رحمك الله): فيه تلطف بالمتعلم ودعاء له بالرحمة.

(أنه يجب على كل مسلم ومسلمة): وجوبًا عينيًّا.

(تعلم هذه المسائل الثلاث والعمل بهن): أي: معرفتهن واعتقاد معانيهن والعمل بمدلولهن.

وهذه المسائل الثلاث من أهم المسائل التي تتعلق بالتوحيد، الأولى في توحيد الربوبية والإيمان بالرسل، والثانية في توحيد الألوهية، والثالثة في الولاء والبراء.

(الأولى: أن الله خلقنا): أي: أوجدنا بعد أن لم نكن شيئا لعبادته.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام:٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]

(ورزقنا): أي: ورزقنا النعم لنستعين بها على ما خلقنا له.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [سبأ:٢٤]

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١].

(ولم يتركنا هملًا): أي: لم يتركنا مهملين معطلين سُدى لا نؤمر ولا نُنهى، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

(بل أرسل إلينا رسولًا): هو محمد ﷺ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:٩].

(فمن أطاعه دخل الجنة): لأن طاعته طاعة لله، قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

وفي البخاري (٧٢٨٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**».

(ومن عصاه دخل النار): ويدل على ذلك أدلة منها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]

(والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾): هذا دليل على قوله: (بل أرسل إلينا رسولا)، يعني: شاهدا على أعمالكم كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾: هو موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام.

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾: أي عصى فرعون رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام، وأبى إلا التمادي في الكفر والطغيان.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾: أي: أخذا شديدًا مُهلكًا، وذلك بإغراقه وجنوده في البحر فلم يفلت منهم أحد، ثم بعد ذلك في عذاب البرزخ إلى يوم القيامة، ثم

عذاب النار، قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، أي: يعرضون عليها في البرزخ يعذبون بها ﴿غُدُوًّا﴾، أول النهار، ﴿وَعَشِيًّا﴾، آخره، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، فهذه عاقبة العاصين للرسل، وجزاء المخالفين لأمرهم.

أي: فاحذروا أنتم أيها الأمة أن تعصوا نبيكم محمدا ﷺ فيحل بكم كما حل بهم من عقاب الله، وأليم عذابه في الدنيا، والبرزخ، وفي الآخرة نعوذ بالله من ذلك، وفي القرآن آيات كثيرة في بيان سعادة من أطاع الرسل وشقاوة من عصاهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إعلام الموقعين (١/ ١٠٧): (فأخبر سبحانه أنه أرسل محمدًا ﷺ إلينا كما أرسل موسى إلى فرعون، وأن فرعون عصى رسوله فأخذناه أخذا وبيلًا، فهكذا من عصى منكم محمدًا ﷺ..) اهـ.

* * *

الثَّانِيَة: أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن:١٨]

الشرح:

(الثانية: أن الله لا يرضى أن يُشرَك معه أحد في عبادته): هذه المسألة الثانية وهي في توحيد الألوهية، وهي أن الله لا يرضى أن يُشرك معه أحد في عبادته، فهو سبحانه المستحق للعبادة وحده لاشريك له كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وكما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٤].

وأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يرضى لعباده الكفر فقال جل جلاله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

وإنما يرضى لهم الإسلام فقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وفي مسلم (١٧١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن اللهَ يرضَى لكم ثلاثًا، ويسخطُ لكم ثلاثًا: يرضَى لكم أن تعبدوه ولا تُشرِكوا به شيئًا...**» الحديث.

(لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل): أي: لا يرضى سبحانه أن يكون له شريك في عبادته لا ملك مقرب عنده ولا نبي مرسل فضلًا عن غيرهما من سائر

المخلوقات، فنبه المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بالأعلى ليدخل فيه من هو دونهم من باب الأولى.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾: أي: وأن المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله، أو أعضاء السجود؛ لله.

﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾: سواء كان دعاء مسألة: كالاستغاثة والدعاء ونحو ذلك.

أو دعاء عبادة: كالصلاة والطواف ونحو ذلك.

و (أحدًا): نكرة في سياق النهي تفيد العموم؛ فشملت كل ما يُدعى من دون الله سواء كان المدعو من دون الله صنمًا أو حجرًا أو شجرًا أو وليًّا أو قبرًا أو جنيًّا أو غير ذلك، فإن دعاء غير الله شرك أكبر مخرج من الملة لايُغفر إلا بالتوبة منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

❊ ❊ ❊

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، والدليل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

الشرح:

(الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لايجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب): أي: أن المسألة الثالثة مما يجب علينا تعلمه: هي أن من أطاع الرسول فيما أمر به واجتنب ما نهى عنه، ووحد الله في عبادته؛ لايجوز له موالاة الكفار أو محبتهم، بل يجب عليه مصارمتهم وبغضهم، ولو كان من حاد الله ورسوله أقرب قريب كالأب أو الابن أو الأخ أو العشيرة أو نحو ذلك.

وهذه المسألة في الولاء والبراء، الذي هو أصل عظيم جاءت فيه النصوص الكثيرة، قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ

فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٣، ٢٤]، وقال عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، الآية.

(والدليل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾): أي: لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الإيمان الواجب يوادون المحادين لله ورسوله وهم الكفار.

﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾: أي: ولو كانوا من الأقربين، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ

ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾: أي: جمعه في قلوبهم وثبته وأرساه، فهي قلوب مؤمنة مخلصة لا تؤثر فيها الشبه ولا الشكوك.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾: أي: قواهم بنصر منه، ونوّر قلوبهم بالإيمان وبالقرآن وحججه وسمى نصره إياهم روحا، لأنَّ به حيي أمرهم.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: أي: ويسكنهم جنات تجري من تحت أشجارها وقصورها وغرفها الأنهار، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [العنكبوت:٥٨]

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: أي: مقيمون في هذه الجنات إقامة أبدية لا تحُول ولا تزول- نسأل الله من فضله -.

﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: قال الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الآية: (وفي قوله: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ سر بديع، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم، والفضل العميم)اهـ

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾: أي: هؤلاء الموالون أولياء الله المعادون أعداء الله؛ هم حزب الله وأنصاره وعباده المقربون وأهل كرامته.

﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: أي الفائزون في الدنيا والآخرة، وفي هذا تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرهم في الدنيا والآخرة، في مقابلة ما أخبر عن الكفار بأنهم حزب الشيطان، ثم قال: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]

* * *

اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]. وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ. وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٥].

الشرح:

(اعلم أرشدك الله لطاعته): أي: اعلم هداك الله ووفقك لما ينفعك في دنياك وآخرتك.

والرشد: ضد الغي، وهو الاستقامة على طريق الحق.

وقوله (لطاعته): الطاعة: موافقة المراد فعلا للمأمور، وتركا للمحظور.

وهذه آخر المقدمات التي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ اللهُ قبل الدخول في الأصول الثلاثة وابتدأها بالأمر بالعلم.

(أن الحنيفية): الحنيفية هي الملة المائلة عن الشرك، المبنية على الإخلاص لله تعالى.

(ملة): أي: طريقه الديني الذي يسير عليه عليه الصلاة والسلام.

(إبراهيم): هو خليل الرحمن قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾

[النساء: ١٢٥]، وهو أبو الأنبياء، وقد تكرر ذكر منهجه في مواضع كثيرة للاقتداء به.

(أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين): أي: أن الحنيفية طريقة وشريعة إبراهيم عليه الصلاة والسلام هي: أن تعبد الله مخلصا له الدين.

والمراد بالإخلاص التنقية و هو أن يقصد المرء بعبادته وجه الله، بحيث لايعبد معه غيره.

وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣]، وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٠-١٣٢].

(وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها): أي: بالحنيفية وهي عبادة الله مخلصا له الدين. أمر الله بها جميع الثقلين الجن والإنس، وخلقهم لها.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: أي: ما أوجد الله سبحانه وتعالى الجن والإنس إلا لعبادته، فلم يخلقهم عبثًا،ولم يتركهم سدى.

(ومعنى يعبدون يوحدون): قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كل ما ورد في القرآن من

العبادة فمعناها التوحيد)، ذكره البغوي في تفسيره.

(وأعظم ما أمر الله به التوحيد): فهو أعظم فريضة فرضها الله على عباده، ولأجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، ودعا إليه جميع الأنبياء،

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

والتوحيد لغة: مصدر وحَّد يوحِّد توحيدًا، أي: جعله واحدًا.

وشرعا: إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

فأنواع التوحيد ثلاثة

الأول: توحيد الربوبية:

وهو إفراد الله بأفعاله كالخلق، والملك، والتدبير، قال الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢]، وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [فاطر:٣]، وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

الثاني: توحيد الألوهية:

وهو إفراد الله تعالى بالعبادة، وذلك بأن يعبد الله وحده، ولا يشرك في عبادته أحدًا.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]

الثالث: توحيد الأسماء والصفات:

وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكييف، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وإنما عرفه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله:

(وهو: إفراد الله بالعبادة): ومراده توحيد الألوهية؛ لأنه هو الذي حصل فيه الإخلال والضلال فبعث الله الرسل لتحقيقه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾.

(وأعظم ما نهى عنه الشرك): لأنه أعظم ذنب عُصِيَ الله به، وأي ذنب أعظم من أن يجعل العبد مع الله شريكًا وهو خلقه؟!

والشرك أظلم الظلم وأبطل الباطل وأقبح المعاصي؛ لأنه تسوية المخلوق الناقص بالخالق الكامل من جميع الوجوه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨]، وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦]، وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ

ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

وفي البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦) عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**..» الحديث.

وفي البخاري (١٢٣٨)، ومسلم (٩٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**».

(وهو دعوة غيره معه): أي: عبادة غيره معه.

(والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾): فأمر الله سبحانه وتعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، فقوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ دليل على الأمر بالتوحيد، وقوله: ﴿وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ دليل على النهي عن الشرك.

و﴿شَيْـًٔا﴾: نكرة في سياق النهي، فيعم الشرك كله قليله وكثيره.

* * *

فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَا الأُصُوْلُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَن رَبُّكَ؟ فَقُلْ رَبِّي اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيع العَالَمِينَ بِنَعَمِهِ، وَهُوْ مَعْبُوْدِي لَيْسَ لي معبود سواه، والدليلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١].

وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمُ وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذلكَ العَالَمِ.

الشرح:

(فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟): أي: ما الأصول الثلاثة التي يجب على كل مكلف معرفتها والعمل بمقتضاها؟

والأصول: جمع أصل، وهو ما يبنى عليه غيره.

وهذه الأصول الثلاثة تجمع الدين كله، وهي التي يُسأل عنها الإنسان في قبره: من ربك؟، وما دينك؟، ومن نبيك؟، كما في حديث البراء الطويل وفيه: «فيَأتِيهِ مَلَكانِ، فيُجْلِسانِه، فيَقولانِ له: مَن ربُّكَ؟ فيقولُ: رَبِّيَ اللهُ، فيَقولانِ له: ما دِينُكَ؟ فيَقولُ: دِينِيَ الإِسلامُ، فيَقولانِ له: ما هذا الرجلُ الذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فيَقولُ: هو رسولُ اللهِ...» الحديث.

رواه أبو داود (٤٧٥٣)، والنسائي (٢٠٠١)، وابن ماجه (١٥٤٩)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح الجامع (١٦٧٦).

(معرفة العبد ربه): وهذا أصل الأصول، وأوجب الواجبات؛ فإذا عرف العبد ربه؛ عبده على بصيرة ويقين.

ومعرفة الله تكون بالنظر والتفكر في آيات الله الكونية الدالة على عظمته وقدرته سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٨٥]، وقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ﴾ [سبأ:٤٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:١٩٠].

والنظر في آياته الشرعية كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

(ودينه): أي: معرفة الأصل الثاني وهو دينه الذي تعبدنا به، وهو فعل ما أوجب الله علينا فعله، وترك ما أوجب الله علينا تركه.

(ونبيه محمدًا ﷺ): وهذا هو الأصل الثالث، وهو معرفة نبينا محمد ﷺ وما كان عليه من العبادة والإخلاص والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله؛ فإنه المبلِّغ لدين الله عز وجل، ولا طريق لنا إلى ما تعبَّدَنا الله به إلا بما جاء به محمد ﷺ.

وبعد أن ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الأصول الثلاثة مجملة، شرع في ذكرها

مفصلة أصلاً أصلاً؛ تتميمًا للفائدة، وتنشيطًا للقارئ؛ فإنه إذا عرفها مجملة وعرف ألفاظها وضبطها؛ بقي متشوقًا إلى معرفتها مفصلة، ومعرفة معانيها.

(فإذا قيل لك: من ربك؟): هذا شروع في تفصيل الأصول الثلاثة، فكأنه قال: الأصل الأول من الأصول الثلاثة التي يجب على العبد معرفتها؛ إذا قال لك قائل من ربك؟ أي: من خالقك ورازقك ومعبودك الذي ليس لك معبود سواه؟

(فقل: ربي الله الذي رباني): أي: فقل: ربي الله الذي خلقني ورزقني، ورباني بالنعم الظاهرة والباطنة.

(وربى جميع العالمين بنعمه): أي: خلقهم وأمدهم برزقه ورباهم بنعمه قال الله تعالى في محاورة موسى وفرعون: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٤٩-٥٠].

فكل أحد من العالمين قد رباه الله عز وجل بنعمه التي لا تحصى كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

(وهو معبودي ليس لي معبود سواه): أي: هو وحده مألوهي الذي أعبده وأتذلل له خضوعًا ومحبةً وتعظيمًا، ليس لي معبود سواه، فهو وحده المستحق للعبادة، وهذا مدلول كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله)، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾

[الأنبياء:٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

(والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾): الحمد: هو وصف المحمود بصفات الكمال ونعوت الجلال مع محبته وتعظيمه.

والرب: اسم من أسماء الله تعالى، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة، فيقال: رب الدار ورب المال ونحو ذلك.

ومن معانيه: المالك والسيد.

و﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله عز وجل.

و﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: أي: مربيهم بالنعم وخالقهم ومالكهم والمدبر لهم.

(وكل ما سوى الله عالم): وجمعه عوالم وعالمون، فالوجود قسمان: رب ومربوب، فالرب: هو المالك سبحانه المتفرد بالربوبية والإلهية، والمربوب: هو العالَم، وهو كل من سوى الله من جميع الخلائق.

(وأنا واحد من ذلك العالم): أي: وأنا عبد واحد من جملة تلك المخلوقات المربوبة المتعبدة بأن يكون الله معبودها لامعبود لها سواه.

* * *

فَإِذَا قِيلَ لَكَ بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا. والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت:٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]

الشرح:

(فإذا قيل لك بم عرفت ربك؟): أي: فإذا قيل لك: بأي شيء استدللت على معرفة الله سبحانه وتعالى؟

(فقل: بآياته ومخلوقاته): أي: فقل: عرفت ربي جل جلاله بآياته ومخلوقاته التي تدل على وحدانيته وتفرده بالربوبية والإلهية.

والآيات: جمع آية وهي العلامة على الشيء التي تدل عليه وتبينه.

وآيات الله تعالى نوعان: كونية وشرعية.

فالكونية: هي المخلوقات كالليل والنهار والشمس والقمر.

والشرعية: هي الوحي الذي أنزله الله على رسله.

(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر): أي: ومن أعظم آياته المشاهدة بالأبصار الليل والنهار وتعاقبهما، والشمس والقمر وجريانهما، قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، فكل ذلك دال على وحدانية الخالق وعظمته جل جلاله.

(ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما): أي: ومن أعظم مخلوقات الله الدالة على وحدانيته تعالى وعظمته السموات السبع وسعتها وارتفاعها، والأرضون السبع وامتدادها وسعة أرجائها، وما في السموات من الكواكب الزاهرة، والآيات الباهرة، وما في الأرضين من الجبال والبحار وأصناف المخلوقات.

(والدليل): أي: والدليل على أن الليل والنهار والشمس والقمر من آيات الله سبحانه وتعالى.

(قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾): أي: ومن آيات الله الدالة على عظمته ووحدانيته الليل والنهار وتعاقبهما، والشمس والقمر وسيرهما وانتظامهما.

﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾: أي: لاتسجدوا للشمس ولا للقمر وإن بلغا مبلغا عظيما؛ لأنهما مخلوقان مُتصرَّف فيهما يعتريهما التغير فلا يستحقان

العبادة.

﴿وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: أي: واسجدوا لله وحده الذي خلقهن إن كنتم تعبدونه حقا؛ فأمر الله عباده أن يفردوه بالعبادة وحده، فكما أنه المتفرد بخلق الليل والنهار والشمس والقمر وسائر المخلوقات؛ فهو المستحق أن يُعبَد وحده لا شريك له.

(وقوله تعالى): أي: ومن الأدلة على أن الله خلق السموات والأرض قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: أي: ومن أعظم الأدلة على وحدانية الله وعظمته خلق السموات والأرض على غير مثال سابق في ستة أيام، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٠١]، وقال: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:١١].

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: أي: علا عليه علوا يليق بجلاله وعظمته.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾: أي: يذهب ظلام هذا بضياء هذا، وضياء هذا بظلام هذا، وكل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا، أي: سريعا لا يتأخر عنه، بل إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب هذا، كما قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ

ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧-٤٠]

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: أي: مذللات بأمر الله سبحانه؛ فجميعها تحت قهره وتسخيره ومشيئته، ولهذا قال منبها:

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾: فهو المتفرد بالخلق كما أنه المتفرد بالأمر، فلا شريك له في الخلق كما أنه لا شريك له في الأمر، له الخلق كله وله الأمر كله وبيده الخير كله، وهو على كل شيء قدير.

وأمر الله سبحانه وتعالى على قسمين

أمر كوني قدري:

وهذا يتعلق بالمخلوقات كقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، وقوله عز وجل: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]، وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر:٥٠].

وأمر شرعي ديني:

وهذا يتعلق بشرع الله، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨].

﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: بلغ في البركة نهايتها إله الخلق ومليكهم، وموصل الخيرات إليهم، ودافع المكاره عنهم، والمتفرد بإيجادهم وتدبيرهم، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢-٢١].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (الخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ).

الشرح:

(والرب هو المعبود): أي: والرب هو المستحق للعبادة وحده لاشريك له؛ لأنه الخالق الرازق المالك المدبر.

(والدليل): أي: والدليل على أن الرب هو المستحق للعبادة.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾: النداء موجه لجميع الناس أن يعبدوا الله وحده لاشريك له.

وكل ما ورد في القرآن من الأمر بالعبادة؛ فالمراد به التوحيد، كما تقدم من كلام ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: أي: الذي

أوجدكم ومن قبلكم من العدم، وأسبغ عليكم نعمه الظاهرة والباطنة.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾: أي: ممهدة كالفراش مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: قبة مضروبة عليكم، وسقفا محفوظا كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:٣٢].

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾: أي: وأنزل من السحاب المطر؛ فأخرج به من جميع أنواع الزروع والثمار رزقا لكم ولأنعامكم.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: ومن كان هذا وصفه فهو المستحق للعبادة وحده؛ فلا تشركوا بالله غيره ولا تجعلوا له أندادًا، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول ﷺ من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه.

(قال ابن كثير - رحمه الله تعالى -): هو الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوء القرشي البصروي، ثم الدمشقي، صاحب التفسير المشهور والتاريخ وغيرهما، المتوفى سنة أربع وسبعين وسبعمائة.

(الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة): يعني: أن الآيات دلت على أن الذي خلق هذه الأشياء وأوجدها من العدم على غير مثال سابق هو المستحق

للعبادة وحده.

وذكر المصنف كلام الحافظ ابن كثير رحم الله الجميع بالمعنى وكأنه يكتب من حفظه، والله أعلم.

ونص كلام الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (١/ ٨٠) هو: (ومضمونه: أنه الخالق الرازق مالك الدار، وساكنيها، ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره) اهـ.

❊ ❊ ❊

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا. كُلُّهَا للهِ تَعَالَى.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ: (الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ). وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

الشرح:

(وأنواع العبادة التي أمر الله بها): أي: وأصناف العبادة التي شرع الله لعباده القيام بها.

والعبادة لغة: مشتقة من التعبد وهو الخضوع والتذلل، يقال: طريق معبد: أي: مسلوك مُذَلَّل قد وطئته الأقدام.

وشرعًا: أجمع تعريف للعبادة ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فقال:

(العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة) اهـ.

ومن هذا التعريف يتضح أن للعبادة أربع مراتب، هي:

١- اعتقاد القلب:

وهو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله، وملائكته ولقائه، على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام.

٢- قول اللسان:

وهو التعبد لله بذكره، وتبليغ أوامره، والذب عن دينه، وغير ذلك.

٣- عمل القلب:

كإخلاص الدين لله، والخوف منه، والرجاء له، وغير ذلك من أعمال القلوب.

٤- عمل الجوارح:

كالصلاة والجهاد، والإحسان إلى الخلق وغير ذلك.

(مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان): هذه الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان هي الدين، ولذلك بدأ بها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ.

ويدل على ذلك حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم، في سؤال جبريل عليه الصلاة والسلام للنبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، وفيه: (ثُمَّ

انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قالَ لِي: «**يا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**»، قُلتُ: اللهُ ورَسولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: «**فإنَّه جِبْرِيلُ أتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»؛ فجعل النبي ﷺ هذه المراتب هي الدين، وذلك أنها متضمنة للدين كله.

(ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها): أي: ومن أنواع العبادة الدعاء والخوف والرجاء وغير ذلك من أنواع العبادة؛ إذ أن أنواع العبادة ليست محصورة في هذه الأنواع التي عدها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، بل هي أنواع كثيرة.

(كلها لله تعالى): أي: أن جميع أنواع العبادة مما ذكر وغيره لله وحده لاشريك له، لايحل صرف شيء منها لغير الله تعالى.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾: سبق الكلام على هذه الآية، وأن الدعاء هنا يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة.

ووجه الدلالة من الآية: أن الله تعالى أخبر أن المساجد أو أعضاء السجود لله؛ فلا تعبدوا معه غيره.

وقوله تعالى: ﴿أَحَدًا﴾: نكرة في سياق النهي؛ فتعم كل مدعو من دون الله.

(فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر): أي: فمن صرف شيئًا من أنواع العبادة التي ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أو غيرها لغير الله؛ فهو مشرك كافر.

(والدليل: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾):

يقول الله تعالى متوعدا من أشرك به غيره، وعبد معه سواه، ومخبرا أن من أشرك بالله ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ أي: لا دليل له ولا حجة على قوله، وهذه جملة معترضة، وجواب الشرط في قوله:

﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾: أي: أن الله يحاسبه على ذلك؛ فيجازيه على كفره.

ثم أخبر الله سبحانه:

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: أي: يوم القيامة، لا فلاح لهم ولا نجاة.

فسمَّاهم الله كافرين لدعائهم مع الله غيره، وفي الآية أوضح برهان على كفر من دعا مع الله غيره سواء كان المدعو ملَكًا أو نبيًا أوشجرة أو قبرًا أو جنيًا أو غير ذلك.

(وفي الحديث: "الدُّعاءُ مُخُّ العبادة"): هذا شروع من المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر أدلة أنواع العبادة التي ذكرها مجملة، فأما الإسلام والإيمان والإحسان فسيأتي مفصلًا في الأصل الثاني إن شاء الله، وبدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدها بالدعاء؛ لأهميته، ولأن كثيرا من الذين وقعوا في الشرك كان أصل شركهم بدعاء غير الله، فقال: (وفي الحديث..)، يعني: عن النبي ﷺ أنه قال: «**الدعاء مخ العبادة**»، وهذا الحديث أخرجه الترمذي (٣٣٧١) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث ضعيف فيه

علتان:

فيه ابن لهيعة ضعيف، وفيه عنعنة الوليد بن مسلم وهو مدلس.

ويغني عنه حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٢٤٧)، وابن ماجه (٣٨٢٨) قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، وهو حديث صحيح.

وأنواع الدعاء

١- دعاء عبادة:

وهو أن يتعبد لله عز وجل به طلبا لثوابه وخوفا من عقابه، ومن ذلك جميع أنواع العبادة كالصلاة ونحوها.

٢- دعاء مسألة:

وهو السؤال وطلب الحاجات من الله سبحانه وتعالى لما يصلح دين العبد ودنياه.

(**والدليل قوله تعالى**: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾): أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يدعوه، ووعدهم أن يستجيب لهم؛ فدل على أن الدعاء عبادة، بل هو أجل العبادات وأساسها، ودلّ على أنه سبحانه يُحِبُّ من عباده أن يدعوه، وأنَّ الدعاء مما يحبه الله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: أي: إن الذين يستكبرون عن دعائي وتوحيدي.

فسمى الله الدعاء عبادة، وجاء في القرآن في غير موضع أنه عبادة، فصرفه لغير الله شرك أكبر.

﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾: أي: صاغرين حقيرين.

لمَّا كان المانع لهم من عبادة الله عزَّ وجلَّ هو الاستكبار؛ صغرهم الله وحقرهم، وجعل جزاءهم دخول جهنم صاغرين حقيرين ذليلين.

وفي مسند أحمد (٦٦٧٧)، والترمذي (٢٤٩٢) عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوَهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ؛ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ**»، والحديث حسن.

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥] **وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

الشرح:

(ودليل الخوف): أي: والدليل على أن الخوف عبادة قلبية.

(قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾): أول الآية: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾؛ أي: يخوفكم أولياءه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾: أي: إذا سول لكم وأوهمكم فتوكلوا علي والجئوا إلي، فأنا كافيكم وناصركم عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٦ - ٣٨].

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: جعله شرطا في صحة الإيمان، فكما أنه إذا دعا غير الله أو سأل غير الله؛ انتفى عنه الإيمان، فكذلك إذا خاف غير الله معتقدا قدرته على النفع والضر؛ فهو مشرك كافر.

وتعريف الخوف: هو اضطراب القلب بتوقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة.

وقسم بعض العلماء الخوف إلى أربعة أقسام

١- خوف عبادة:

وهو الخوف من الله سبحانه وتعالى؛ لأنه القادر على كل شيء، وهو الذي بيده النفع والضر، وهذا الذي يسميه بعض العلماء بخوف السر.

٢- خوف شركي:

وهو أن يتعبد بالخوف لغير الله من الأصنام والأوثان والأولياء والجن وما أشبه ذلك.

٣- خوف معصية:

كمن يترك شيئا من الواجبات أو يرتكب شيئا من المحرمات، خوفا من الناس، وليس مكرهًا على ذلك.

٤- خوف طبيعي:

كخوف الإنسان من العدو أو السباع أو نحو ذلك، وهذا النوع من الخوف هو المراد في قوله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ١٨].

(ودليل الرجاء): أي: والدليل على أن الرجاء عبادة قلبية.

(قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾): أي: فمن كان يرجو ثواب الله ويخاف عقابه ويأمل لقاءه ورؤيته، وفُسِّر بالمعاينة.

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾: وهو ما كان موافقا لشرع الله مقصودًا به وجه الله.

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾: أي: لا يجعل مع الله شريكًا في عبادته لا

ملكا ولا نبيا ولا وليا ولاصنما ولاشيئا من ذلك.

و﴿أَحَدًا﴾: نكرة في سياق النفي تعم كل مدعو من دون الله.

وتعريف الرجاء: هو الطمع بالحصول على شيء مرجو.

قال العلّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه على الأصول الثلاثة: (والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل، وصرفه لغير الله شرك إما أصغر وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجي) اهـ.

والرجاء نوعان

١- رجاء محمود:

وهو رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه.

ورجاء رجل أذنب ذنوبا ثم تاب منها، فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

٢-رجاء مذموم:

وهو رجاء رجل متماد في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب.

والفرق بين الرجاء والتمني: أن الرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل، والتمني يكون مع الكسل قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]،

وابتغاء الوسيلة إليه: طلب القرب منه بالمحبة والعبودية بالطاعة وأنواع القربات.

فائدة:

قال الشيخ محمد بن إبراهيم في (فتاويه) (١/ ١١٨): (وأما كلمة (أرجوك) في شيء يقدر عليه ذلك المخلوق فليس بشرك ولا محرم، ومن حسن الأدب ترك استعمال هذه الكلمة مع المخلوق) اهـ.

والشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد في معجم المناهي اللفظية لا يرى بها بأسًا، وكذلك الشيخ عبدالعزيز بن باز رحم الله الجميع.

* * *

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: ٢٣]. وَقَالَ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الشرح:

(ودليل التوكل): التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار، مع الأخذ بالأسباب المأذون بها شرعاً.

وللتوكل ركنان

١- العمل بالأسباب مع تفويض الأمر إلى الله وصدق الاعتماد عليه.

٢- عدم الالتفات إلى الأسباب بعد القيام بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (١/ ١٣١): (الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع) اهـ.

والتوكل عبادة قلبية، والدليل على ذلك:

(قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾): فإخلاص التوكل على الله شرط في صحة الإيمان؛ فإن تقديم المعمول وهو قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾

على العامل وهو كلمة ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ يفيد الحصر.

أي: على الله وحده؛ فتوكلوا إن كنتم مؤمنين لا على غيره.

(وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾): أي: كافيه.

والتوكل على أنواع

الأول: توكل العبادة:

وهو التوكل على الله وحده وصدق اعتماد القلب عليه في جلب منفعة أو دفع مضرة، وهذا من تمام الإيمان، وعلامات صدقه، وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به.

الثاني: التوكل على الموتى، أو على الأحياء فيما لايقدر عليه إلا الله:

كأن يعتمد على ميت في جلب منفعة، أو دفع مضرة، وهذا يسميه بعض العلماء (توكل السر)؛ لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفًا سريا في الكون، ولا فرق بين أن يكون نبيًا أو وليًا أو غير ذلك.

وكذلك من يعتمد على حي في جلب نفع أو دفع ضر لايقدر عليه إلا الله.

وهذا النوع من التوكل شرك أكبر.

الثالث: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير:

فإن كان مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكل عنه، فهذا نوع من

الشرك الأصغر لقوة تعلق القلب به والاعتماد عليه.

وإن كان اعتماده عليه على أنه سبب فقط وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده؛ فهذا لا بأس به.

الرابع: التوكل على الغير فيما فوض إليه التصرف فيه:

بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة، كمن وكل شخصا في بيع شيء أو شرائه؛ فهذا لا بأس به، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقد وكل النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بذبح ما بقي من هديه كما في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه.

(ودليل الرغبة): الرغبة: هي السؤال والطلب والابتهال والتضرع مع محبة الوصول إلى الشيء المطلوب.

ولا تكون إلا لله سبحانه فمن رغب فيما عند الله من غير الله فقد كفر.

(والرهبة): الرهبة: هي الخوف مع التحرز من أسباب الخوف، فهي خوف مقرون بعمل.

(والخشوع): الخشوع: هو قيام القلب بين يدي الرب جلَّ جلاله بالخضوع والذل، ومحل الخشوع القلب، وثمرته على الجوارح.

(قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾): هذا دليل على أن الرغبة والرهبة والخشوع عبادات

قلبية، وصرفها لغير الله شرك أكبر.

وقوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: أي: يسارعون في عمل القربات وفعل الطاعات.

وقوله ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾: رغبا في رحمة الله، ورهبا من عذاب الله.

قوله ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾: خاضعين متذللين.

❊ ❊ ❊

وَدَلِيلُ الخَشْيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٥٠].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

الشرح:

(ودليل الخشية): الخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخشى منه؛ لذلك خص العلماء بها في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

فالخشية خوف مبني على علم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه؛ فهي أخص من الخوف ويتضح الفرق بينهما بالمثال: فإذا خفت ممن تتوقع أذاه ولا تدري هل هو قادر عليك أم لا فهذا خوف، وإذا خفت ممن تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية.

فالخوف: توقع المكروه، والخشية: علم بالمكروه.

والدليل على الخشية

(قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾): أي: لاتخشوا الناس؛ فإني وليكم، واخشوني وحدي؛ فدلت الآية على أن الخشية عبادة من أجل العبادات، وصرف هذه العبادة لغير الله شرك أكبر.

(ودليل الإنابة): الإنابة: الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة وإخلاص العمل له، ولاتكون إلا لله تعالى، وصرفها لغير الله شرك أكبر.

والإنابة لله إنابتان

١- إنابة لربوبيته:

وهي إنابة المخلوقات كلها، يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾، فهذا عام في حق كل داع أصابه ضر كما هو الواقع، وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام، بل تجامع الشرك والكفر كما قال تعالى في حق هؤلاء: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝٣٣ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ..﴾ [الروم: ٣٣-٣٤]، فهذا حالهم بعد إنابتهم.

٢- إنابة لألوهيته:

وهي إنابة أوليائه إنابة عبودية ومحبة، وهي تتضمن أربعة أمور: محبته والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه. ذكر هذا ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين (١/ ٤٦٧).

والمراد هنا؛ الإنابة الشرعية (إنابة الألوهية).

ودليل الإنابة: (قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾): أي: بادروا بالتوبة والعمل الصالح ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: قبل حلول النقمة.

والمراد بقوله تعالى: ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾؛ الإسلام الشرعي، وهو: الاستسلام

لأحكام الله الشرعية.

وذلك أن الإسلام لله تعالى نوعان

الأول: إسلام كوني:

ومعناه استسلام جميع الخلائق لأوامر الله تعالى الكونية القدرية.

ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

الثاني: إسلام شرعي:

ومعناه الاستسلام والانقياد لأوامر الله الشرعية.

وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل وأتباعهم بإحسان، ودليله في القرآن كثير ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا﴾ [آل عمران: ٦٧]، وكذا الآية التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❊ ❊ ❊

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٤]. وفي الحَدِيثِ: (إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ)، وَدَلِيلُ الْاِسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]. الآية: وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]. وَدَلِيلُ الاِسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] وَدَلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الانعام: ١٦٢-١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: (لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيرِ الله).

وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧].

الشرح:

(ودليل الاستعانة): الاستعانة: لغة: طلب العون.

وشرعًا: هي طلب العون من الله تعالى في فعل المأمورات وترك المحظورات والصبر على المقدورات، مع الثقة به سبحانه وتعالى في تحصيل ذلك.

وهي عبادة من أجل العبادات تجمع أصلين: الثقة بالله، والاعتماد عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال الله العون على مرضاته ثم رأيته في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾) اهـ.

والدليل على أن الاستعانة عبادة قلبية:

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: الدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، وعلى هاتين الكلمتين مدار العبودية والتوحيد؛ فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فيها تبرؤ من الشرك.

وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيها تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض إلى الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (١/ ٩٠): (ولهذا قيل إن هذه الآية جمعت أسرار القرآن: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ لأن أولها اقتضى عبادته بالأمر والنهي والمحبة والخوف والرجاء، وآخرها اقتضى عبوديته بالتفويض والتسليم، وترك الاختيار، وجميع العبوديات داخلة في ذلك)اهـ

وتقديم المعمول ﴿إِيَّاكَ﴾ على العامل يفيد الحصر، أي: نعبدك وحدك ونستعين بك وحدك دون من سواك، وصرف شيء من ذلك لغير الله شرك أكبر.

(وفي الحديث: (إذا استعنت فاستعن بالله)): هذه قطعة من حديث أخرجه أحمد (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنتُ خلفَ رسولِ اللهِ ﷺ يومًا قال: «**يا غلامُ، إني أعلِّمُك كلماتٍ: احفَظِ اللهَ يحفَظْك، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ، واعلَمْ**

أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، وإنِ اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفَ».

وتنقسم الاستعانة إلى أقسام هي

١- الاستعانة بالله:

وهي المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه وتفويض الأمر إليه واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلَّا بالله.

٢- الاستعانة بمخلوق على أمر يقدر عليه:

فهذا بحسب المستعان عليه خيرًا أو شرًّا لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [الإنسان: ٧].

٣- الاستعانة بمخلوق حاضر حي غير قادر:

فهذا لغو لا طائل فيه بشرط ألَّا يعتقد أن لهذا الحي تصرفًا خفيًّا.

٤- الاستعانة بالأموات، أو بالأحياء في شيء لا يقدر عليه إلا الله:

فهذا شرك ولا يقع إلَّا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًّا في الكون.

٥- الاستعانة بالأعمال الصالحة:

وهذه جائزة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]

(ودليل الاستعاذة): الاستعاذة: لغة: طلب العوذ من ضر يُخشى وقوعه.

وشرعـًا: هي الالتجاء إلى الله والاعتصام به من شر كل ذي شر.

والدليل على أن الاستعاذة عبادة قلبية

(قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾): أمر الله نبيه ﷺ أن يستعيذ بفالق الإصباح من شر جميع المخلوقات.

والفلق: الصبح.

(و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾): أمر الله نبيه ﷺ أن يستعيذ به من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان يجثم على قلب ابن آدم؛ فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس.

وتنقسم الاستعاذة إلى

١- الاستعاذة بالله تعالى:

وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به واعتقاد كفايته وتمام حمايته من شر كل ذي شر.

٢- الاستعاذة بصفة من صفاته تعالى:

ككلامه وعظمته وعزته ونحو ذلك، ودليل ذلك قوله ﷺ كما في مسلم من حديث خولة بنت حكيم: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»، وقوله كما عند أحمد من حديث ابن عمر: «**أعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي**»، وقوله في دعاء الألم كما عند مسلم من حديث عثمان بن أبي العاص: «**أعوذ بعزة الله**

وقدرته من شر ما أجد وأُحاذر»، وقوله كما عند مسلم من حديث عائشة: (أعوذ برضاك من سخطك».

٣- الاستعاذة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين:

فهذا شرك ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

٤- الاستعاذة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه:

هذه فيها تفصيل:

- إذا استعاذ من شر ظالم وجب إيواؤه وإعاذته لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين: «مَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ».

- وإن استعاذ ليتوصل إلى فعل محظورات أو لهروب من واجب كالقصاص منه حَرُمَ إيواؤه وإعاذته.

وفي مسلم من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لعن الله مَن آوى مُحدِثًا».

فائدة:

الفرق بين العياذ واللياذ: أن العياذ يكون لدفع المكروه، واللياذ يكون لطلب المحبوب.

كما قال المتنبي:

يا من ألوذ به فيما أؤملهُ ... ومن أعوذ به فيما أحاذرهُ

لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسرهُ ... ولا يهيضون عظمًا أنت جابرهُ

(ودليل الاستغاثة): الاستغاثة: طلب الغوث: وهو الإنقاذ من الضيق والشدة.

والاستغاثة عبادة من أجل العبادات، والدليل على ذلك:

(قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾): أي: إذ تستجيرون ربكم وتطلبون منه الغوث؛ فاستجاب لكم.

وتنقسم الاستغاثة إلى أقسام هي

الأول:

الاستغاثة بالله عزَّ وجلَّ، وهذه من أفضل العبادات وأكملها، والدليل ما ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الثاني:

الاستغاثة بالأموات، أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيا في الكون فيجعل لهم حظا من الربوبية قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

الثالث:

الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة؛ فهذا جائز، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥].

(ودليل الذبح): الذبح: هو إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص.

والذبح عبادة من أجل العبادات، والدليل على ذلك:

(قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾): أي: قل يا أيها النبي لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغيره ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي: إن صلاتي وذبحي لله ﴿وَمَحْيَايَ﴾ أي: ما أحيا عليه من العمل الصالح ﴿وَمَمَاتِي﴾ أي: ما أموت عليه ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ في شيء من ذلك، ولا في غيره من أنواع العبادة.

وقد قرن الله عز وجل الذبح بالصلاة في مواضع من القرآن؛ لعظم شأنه وعلو منزلته، ومن ذلك ماذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، وكذا قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٣١): (أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يجمع بين هاتين العبادتين، وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته..

والذبح من أجلِّ العبادات المالية، كما أن الصلاة من أجلِّ العبادات البدنية..)اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (٨٦٥): (والنحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد، وإخراج للمال الذي جبلت على حبه النفوس والشح به) اهـ .

ويقع الذبح على وجوه

الأول:

أن يقع عبادة؛ بأن يقصد به تعظيم المذبوح له، والتذلل له والتقرب إليه؛ فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر، ودليل ذلك ما ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الثاني:

أن يقع إكراماً لضيف، أو وليمة لعرس، أو نحو ذلك؛ فهذا مأمور به إما وجوباً أو استحبابا لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الرحمن بن عوف كما في الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**أولم ولو بشاة**».

الثالث:

أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الإتجار به ونحو ذلك؛ فهذا الأصل فيه الإباحة؛ لقوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧١-٧٢].

(ومن السنة: «لَعَنَ اللهُ مَن ذَبَحَ لِغَيرِ اللهِ»): رواه مسلم (١٩٧٨) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(ودليل النذر): النذر: لغة: الإيجاب.

وشرعًا: إلزام المكلف نفسه بعبادة.

والأولى اجتناب النذر؛ لأنه مكروه، ففي مسلم (١٦٣٩) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: «**إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**».

والدليل على أن النذر عبادة لله:

(قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾): أي: يتعبدون لله بما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر، فأثنى الله عليهم بالإيفاء به، وهو سبحانه لا يثني إلا على فاعل عبادة؛ فدل ذلك على أن النذر عبادة.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾: منتشرًا فاشيًا عامًّا بين الناس إلا من رَحِمَ اللَّهُ.

والنذر ينقسم إلى أقسام هي

١- نذر طاعة:

وهو النذر لله، وهذا يجب الوفاء به لقول النبي ﷺ كما في البخاري عن عائشة: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**».

٢- نذر معصية:

وهو ما كان في معصية الله؛ فهذا لايجوز الوفاء به، ويدل على ذلك أيضا

حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وفيه: «**ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**».

٣- نذر شركي:

وهو النذر لغير الله؛ كأن ينذر للقبور أو الأموات، أو نحو ذلك.

❊ ❊ ❊

الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دين الإسلام بالأدلَّةِ.

وَهُوَ: الاستسلام للهِ بِالتَّوْحِيدِ وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ؛ وَهُوَ ثَلَاثُ مراتب: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ.

الشرح:

(الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة): لما فرغ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ من ذكر الأصل الأول؛ شرع في ذكر الأصل الثاني، وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة من الكتاب والسنة، لا بالتقليد والدعاوى الباطلة، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]

وفي قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بالأدلة): تنبيه على عدم التقليد في ذلك؛ وأنه لابد أن يكون معه أدلة من الكتاب والسنة.

(وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله): هذا التعريف الشرعي للإسلام.

وأما التعريف اللغوي: فهو الانقياد والاستسلام.

والإسلام على قسمين

الأول: كوني قدري:

وهو استسلام جميع الخلائق لأوامر الله سبحانه وتعالى الكونية القدرية.

ومنه قول الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣].

الثاني: شرعي ديني:

وهو الاستسلام والانقياد لأحكام الله الشرعية.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣١].

(الاستسلام لله بالتوحيد): أي: انقياد العبد واستسلامه لربه استسلاما شرعيا، وذلك بتوحيد الله وإفراده بالعبادة.

(والانقياد له بالطاعة): وذلك بالخضوع والانقياد لله سبحانه ظاهرا وباطنا؛ بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

(والبراءة من الشرك وأهله): فلابد أن يتبرأ من الشرك والمشركين.

قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦].

(وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان): هذه مراتب الدين.

كما جاء في حديث جبريل أنه سأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان، ثم في آخر الحديث سمى النبي صلى الله عليه

وعلى آله وسلم هذه المراتب دينا؛ فقال: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

والحديث في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي مسلم عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❊ ❊ ❊

وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانُ. فَأَرْكَانُ الإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيْتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ. فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ؛ (لَا إِلَهَ) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِن دُونِ اللهِ (إِلَّا اللهُ)، مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ لِلله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]. وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤].

الشرح:

(وكل مرتبة لها أركان): أي: كل مرتبة من مراتب الدين الثلاث لها أركان.

وأركان الشيء: جوانبه التي يستند إليها، ويقوم عليها. النهاية لابن الأثير.

(فأركان الإسلام خمسة): لايستقيم إسلام المرء إلا بها.

(شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة،

وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام): دليل هذا حديث ابن عمر رضي الله عنهما في البخاري (٨)، ومسلم (١٦) قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**».

تنبيه:

تقديم الحج على الصوم هو المتفق عليه عند البخاري ومسلم، وأما تقديم الصوم على الحج؛ فهو إحدى الروايتين عند مسلم.

(فدليل الشهادة): هذا شروع في بيان أدلة أركان الإسلام الخمسة.

والشهادة: الإخبار بالشيء، مع اعتقاد صحته وثبوته.

(قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾): أي: شهد الله لنفسه المقدسة بالألوهية، وأنه لامعبود بحق إلا هو.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾: أي: والملائكة شهدوا لله بأنه لا إله إلا هو؛ وأولو العلم شهدوا بذلك أيضا؛ وفي هذا فضل عظيم للملائكة وأهل العلم؛ فقد استشهد الله بهم على أعظم مشهود وهو توحيده جلّ جلاله.

﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: أي: قائما بالعدل؛ فشهد سبحانه أنه قائم بالعدل في توحيده، وبالوحدانية في عدله.

(ومعناها: لا معبود بحق إلا الله): أي: ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله لا

معبود أي: لا مألوه بحق إلا الله وحده، وكل ما عبد من دون الله فباطل، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

((لا إله) نافيا جميع ما يعبد من دون الله (إلا الله) مثبتا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته): أي: أن (لا إله إلا الله) تشتمل على ركنين: نفي، وإثبات.

الركن الأول: (لا إله): نفي لجميع ما يعبد من دون الله سبحانه، وأن ماسوى الله ليس بإله وإن عبد من دون الله؛ فعبادته باطلة.

الركن الثاني: (إلا الله): إثبات العبودية لله وحده، لا شريك له.

والنفي المحض ليس بتوحيد وكذلك الإثبات المحض؛ فلابد من الجمع بينهما.

(كما أنه لا شريك له في ملكه): أي: كما أنه لا شريك لله سبحانه في ملكه؛ فكذلك لا شريك له في عبادته.

(وتفسيرها الذي يوضحها): أي: تفسير شهادة أن (لا إله إلا الله) الذي يوضحها ويبينها من القرآن.

(قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾): أي: بريء مما تعبدون من الأوثان، وهذا فيه معنى (لا إله).

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾: أي: إلا الذي خلقني وبرأني. وهذا فيه معنى (إلا الله).

﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾: أي: يرشدني ويوفقني.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةَۢ فِي عَقِبِهِۦ﴾: أي: وجعل كلمة التوحيد، وهي (لا إله إلا الله) باقية في ذريته.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: أي: لعلهم يرجعون إلى توحيد الله.

(وقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾): أمر الله نبيه ﷺ أن يقول لأهل الكتاب من اليهود والنصارى تعالوا إلى كلمة واحدة سواء بيننا وبينكم أي: عدل نستوي نحن وأنتم في وجوبها علينا وعليكم، والمراد بها كلمة التوحيد، وهي الكلمة التي دعا إليها جميع الرسل كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: توضيح لمعنى الكلمة، وأنه لامعبود بحق إلا الله، وهذا هو معنى لا إله إلا الله.

﴿وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾: لا ملكا ولا نبيا ولا وليا ولا صنما ولا صليبا ولا طاغوتا ولاشيئا من ذلك.

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أربابا جمع رب، أي: لا نُنزِّل أحدًا منا منزلة الرب؛ فيُصرَف له شيء من العبادة، أو يُطاع في معصية الله.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾: أي: فإن أعرضوا.

﴿فَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾: أي: مستسلمون منقادون لأمر الله، مخلصون له بالتوحيد.

وشروط لا إله إلا الله هي

الأول: العلم المنافي للجهل:

قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]

وفي مسلم عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن ماتَ وهو يَعْلَمُ أنَّه لا إلَهَ إلَّا اللهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ**».

الثاني: اليقين المنافي للشك:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]

وفي مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأنِّي رسولُ اللهِ، لا يَلْقَى اللهَ بهما عبْدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلَّا دخَلَ الجنَّةَ**».

الثالث: القبول المنافي للرد:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن

يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦].

وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللهُ به مِنَ الهُدَى والعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أصابَ أرْضًا، فَكانَ مِنْها نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فأنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ، وكانَتْ مِنْها أجادِبُ، أمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللهُ بها النَّاسَ، فَشَرِبُوا وسَقَوْا وزَرَعُوا، وأَصابَتْ مِنْها طائِفَةً أُخْرَى، إنَّما هي قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذلكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِينِ اللهِ، ونَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللهُ به فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بذلكَ رَأْسًا، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ».

الرابع: الانقياد المنافي للتمرد:

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

الخامس: الصدق المنافي للكذب:

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ

ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣].

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**ما مِن أحَدٍ يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، صِدْقًا مِن قَلْبِهِ، إلَّا حَرَّمَهُ اللهُ علَى النَّارِ**».

السادس: الإخلاص المنافي للشرك:

قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر: ١٤].

وفي البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ، أوْ نَفْسِهِ**».

السابع: المحبة المنافية للكراهية:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وفي الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولدِهِ، ووالدِهِ، والناسِ أجمعينَ**».

وزاد بعض أهل العلم، الشرط الثامن: وهو الكفر بما يعبد من دون الله، والتبرؤ من عبادة غير الله:

قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ

ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وفي مسلم عن طارق بن أشيم الأشجعي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن قالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بما يُعْبَدُ مَن دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ علَى اللهِ**».

وفي رواية: «**مَن وَحَّدَ اللهَ...**» ثم ذكر بمثله.

وقد جمع أحدهم هذه الشروط في بيتين فقال:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها

وزيد ثامنها الكفران منك بما ... سوى الإله من الأشياء قد أُلها

❊ ❊ ❊

وَدِليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

الشرح:

(ودليل شهادة أن محمدًا رسول الله): أي: الدليل الشرعي على ذلك.

وقد دل على شهادة أن محمداً رسول الله

- آيات الله الكونية:

كانشقاق القمر ونحو ذلك.

- وآيات الله الشرعية:

القرآن المنزل عليه من ربه جل جلاله.

- وكذلك العقل:

وقد نبه عليه القرآن كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ [الأنعام: ٩١]

(قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ...﴾): هذه الآية دليل على أن نبينا محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم أرسله الله إلى هذه الأمة.

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: أي: من جنسكم، لا من الجن، ولا من الملائكة.

فامتن الله على المؤمنين بإرسال محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم على هذه الأمة من جنسهم، يعرفون قومه ونسبه وصدقه وأمانته.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: العنت: المشقة.

والمعنى: أنه يشق عليه ما يشق على أمته.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾: أي: على هدايتكم، وإرشادكم، وإنقاذكم من النار.

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: أي: ذو رأفة ورحمة بالمؤمنين.

وفي هذه الآية؛ الرحمة الخاصة بالمؤمنين.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؛ الرحمة العامة بالناس جميعا؛ بالمؤمن والكافر، والبر والفاجر.

ومن رحمته ﷺ أن دعاهم إلى الجنة وحذرهم من النار.

(ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله): معنى الشهادة هنا: أي أشهد وأقر بلساني، وأعتقد بقلبي أن محمدًا ﷺ رسول الله، أرسله الله إلى جميع عباده من الجن والإنس.

ومقتضى ذلك:

(طاعته فيما أمر): أي: امتثال أمره.

(وتصديقه فيما أخبر): أي: تصديقه في كل شيء أخبر به من الأخبار الماضية والأخبار المستقبلة.

(واجتناب ما عنه نهى وزجر): كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

وكما في الصحيحين عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**..» الحديث.

(وأن لا يعبد الله إلا بما شرع): لا بالأهواء والبدع.

فإن من عبد الله بغير ما شرع؛ فقد ابتدع، وبدعته مردودة عليه كما في مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (١/ ٨٠): (العبادات مبناها على الشرع والاتباع لا على الهوى والابتداع.

فإن الإسلام مبني على أصلين:

أحدهما:

أن نعبده وحده...

الثاني:

أن نعبده بما شرعه على لسان رسوله ﷺ، فليس لأحد أن يعبد الله إلا بما شرعه رسوله ﷺ من واجب أو مستحب، فلا نعبده بالأمور المبتدعة قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]).

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧].

الشرح:

(ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد): أي: والدليل على أن الصلاة والزكاة من الدين، وأنهما ركنان من أركان الإسلام.

وكذا في الآية تفسير التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة وحده لاشريك له.

(قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾): أي: وما أمر الذين كفروا أمرا شرعيا دينيا إلا ليوحدوا الله، ويفردوه بالعبادة.

﴿حُنَفَآءَ﴾: أي: مائلين عن الشرك إلى التوحيد.

والحنيف: هو المقبل على الله المعرض عما سواه.

﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: أي: ويقيموا الصلاة المكتوبة تامة شروطها وأركانها وواجباتها، ويؤتوا الزكاة المفروضة لمستحقيها كما أوجب

الله.

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾: أي: أن الإخلاص لله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، هو الدين القيم.

ومعنى ﴿ٱلْقَيِّمَةِ﴾: الملة والشريعة المستقيمة.

(ودليل الصيام): وأنه ركن من أركان الإسلام.

(قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾): أي: فرض عليكم الصيام كما فرض على الأمم السابقة.

والكتابة نوعان:

كتابه كونية قدرية، وكتابه شرعية دينية.

١- كتابة كونية قدرية:

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥]، وكما في قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١].

٢- كتابة شرعية دينية:

كما في الآية التي ذكرها المصنف هنا، وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

(ودليل الحج): وأنه ركن من أركان الإسلام.

(قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾): هذه الآية نزلت في السنة التاسعة للهجرة، وبها فرض الله الحج.

﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾: ومن لم يستطع فلاحج عليه.

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: إن ترك الحج جاحدا له؛ فهو كافر كفرا مخرجا من الملة.

وإن تركه تفريطًا وتساهلاً وهو مستطيع مع الإيمان بوجوبه؛ فهو آثم لتفريطه ولكنه لايكفر.

* * *

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ، وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا اله إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

الشرح:

(المرتبة الثانية): من مراتب الدين.

(الإيمان): الإيمان لغة: التصديق.

واصطلاحًا: هو نطق باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

(وهو بضع وسبعون شعبة): البِضْع: من الثلاثة إلى التسعة.

والشُعبَة: القطعة من الشيء، والمراد الخصْلة؛ فشعب الإيمان يعني خصاله.

(فأعلاها قول لا إله إلا الله): أي: فأعلى شعب الإيمان وأفضلها قول لا إله إلا الله، وهذه كلمة التوحيد، ومفتاح الجنة.

(وأدناها إماطة الأذى عن الطريق): وأقل هذه الشعب إزالة الأذى عن طريق الناس من حجر أو شوك أو نحو ذلك.

(والحياء شعبة من الإيمان): أي: خصلة من خصاله.

وحقيقة الحياء: خلق يبعث على فعل الجميل، وترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.

والدليل على ما تقدم ما أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً؛ فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**».

وفي رواية: «**الإِيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ**».

(وأركانه ستة): أي: أركان الإيمان وأصوله التي يقوم عليها ستة.

(أن تؤمن بالله): وهذا أعظم أركان الإيمان.

والإيمان بالله يتضمن:

الإيمان بوجوده، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته.

(وملائكته): الملائكة: جمع ملَك، وأصله مألك، من الألوكة بمعنى الرسالة.

والإيمان بالملائكة على قسمين:

الأول: إيمان مجمل:

بمن علمنا منهم ومن لم نعلم، وأنهم عالم غيبي، خلقهم الله من نور لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

الثاني: إيمان مفصل:

بمن علمنا اسمه منهم؛ كجبريل وميكائيل.

وبمن علمنا عمله منهم؛ كالموكلين بقبض الأرواح، والنفخ في الصور، وكتابة الأعمال.

وبمن علمنا صفته منهم؛ كخزنة جهنم كما في قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾

[التحريم: ٦]

وبمن علمنا عدده منهم؛ كحملة العرش، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧].

(وكتبه): الإيمان بالكتب: هو الاعتقاد الجازم بأنها كلام الله المنزل على رسله، وأنها ليست بمخلوقة.

والإيمان بالكتب على قسمين:

الأول: إيمان مجمل:

بجميع الكتب المنزلة من عند الله على رسله، ماعلمنا منها وما لم نعلم، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾

وقال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

الثاني: إيمان مفصل:

بما سمى الله منها كالتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف موسى، والقرآن.

ومن الإيمان المفصل؛ الإيمان بما في القرآن من الأحكام والعمل بها، وتصديق ما فيه من الأخبار، وكذا ما في الكتب السابقة مما لم يحرف.

(ورسله): الرسل: لغة: جمع رسول، وهو من بُعث برسالة.

واصطلاحًا: هو من أوحي إليه، وأرسل بشريعة، وأُمِر بتبليغها.

والإيمان بالرسل على قسمين:

١- إيمان مجمل:

بمن علمنا منهم ومن لم نعلم، قال تعالى: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

٢- إيمان مفصل:

بمن ذكر منهم باسمه كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء: ١٦٣]

(واليوم الآخر): هذا الركن الخامس، وهو الإيمان باليوم الآخر، والمراد به يوم القيامة، الذي يبعث الله فيه الناس للحساب والجزاء، وسمي باليوم الآخر؛ لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

ويتضمن الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان بما يكون بعد الموت في البرزخ وما يكون في القبر من سؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه، والإيمان ببعث الأبدان والأرواح بعد الموت، والإيمان بالحساب والجزاء، والإيمان بجميع ما يكون في ذلك اليوم من حشر وحوض وميزان وصراط وغير ذلك، والإيمان بالجنة ونعيمها والنار وعذابها.

(وتؤمن بالقدر خيره وشره): هذا الركن السادس، ومعناه: الإيمان بما قدره الله للكائنات إلى قيام الساعة، حسب ما سبق به علمه، واقتضت حكمته.

وللقدر أربع مراتب هي:

١- الإيمان بعلم الله السابق المحيط بكل شيء.

٢- الإيمان بكتابة الله للأشياء قبل أن تكون.

٣- الإيمان بمشيئة الله النافذة.

٤- الإيمان بأن الله خالق كل شيء بما في ذلك خلق أفعال العباد.

وقد جمعت هذه المراتب في قول الناظم:

علم كتابة مولانا مشيئته وخلقه وهو إيجاد وتكوين

ومن أدلة المرتبة الأولى (العلم):

قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الحشر: ٢٢].

ومن أدلة المرتبة الثانية (الكتابة):

قول الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

ومن أدلة المرتبة الثالثة (المشيئة):

قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

ومن أدلة المرتبة الرابعة (الخلق):

قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وقد انقسم الناس في القدر إلى أقسام أشهرها:

١- غلاة في إثبات القدر:

وهم الجبرية؛ الذين قالوا: إن العبد مجبر على عمله فليس له إرادة فيه ولامشيئة ولاقدرة، فغلوا في إثبات فعل الله ومشيئه وقدرته وإرادته، وعطلوا ما يكون للعبد من ذلك.

٢- غلاة في نفي القدر:

وهم القدرية؛ الذين قالوا: إن العبد مستقل بعمله، وأن الله لم يخلق أفعال العباد، ولاشاءها، وأنه ليس لقدرة الله ومشيئته أثر في فعل العبد؛ فأثبتوا ما للعبد من القدرة والمشيئة والإرادة، وعطلوا ماهو لله.

٣- أهل التوسط والاعتدال:

وهم أهل السنة والجماعة؛ الذين وفقهم الله للجمع بين الأدلة، وإعمالها جميعا؛ فأثبتوا لله سبحانه وتعالى الخلق والقدرة والمشيئة، وأثبتوا للعبد إرادة ومشيئة لا تعارض مشيئة الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩].

(والدليل على هذه الأركان الستة): أي: من القرآن.

ودليلها من السنة؛ حديث جبريل، وسيأتي إن شاء الله.

(قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾): اشتملت هذه الآية على جمل عظيمة، وعقيدة مستقيمة؛ فليس البر أن تصلوا إلى بيت المقدس إن لم يكن أمر الله وشرعه، وذلك لما حولوا إلى الكعبة.

ولكن البر من امتثل أوامر الله؛ فآمن بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين.

والبر: اسم جامع لكل خير.

(ودليل القدر): وأنه ركن من أركان الإيمان.

(قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾): أي: كل شيء خلقناه؛ فإنه مقدر مكتوب في اللوح المحفوظ.

وفي مسلم (٢٦٥٥) من حديث عَبْد اللهِ بنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ شَيءٍ بقَدَرٍ، حتَّى العَجْزِ وَالْكَيْسِ**».

وسبب نزول هذه الآية ما أخرجه مسلم (٢٦٥٦) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ، فَنَزَلَتْ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾

[القمر: ٤٨-٤٩]

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ رُكْنٌ وَاحِدٌ، وهو: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ). وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧ـ ٢٢٠]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

الشرح:

(المرتبة الثالثة: الإحسان): أي: المرتبة الثالثة من مراتب الدين هي الإحسان.

والإحسان أعلى مراتب الدين.

(ركن واحد، وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك): هذا تعريف الإحسان شرعًا.

والإحسان في اللغة: مصدر أحسن يحسن إحسانا، ويتعدى بنفسه وبغيره، تقول: أحسنت كذا إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان، إذا أوصلت إليه النفع.

والأول هو المراد هنا، أي: الإتقان.

والإحسان في حق الخالق سبحانه وتعالى: هو أن تبني عبادتك على الإخلاص والمراقبة لله تعالى، والمتابعة للنبي ﷺ.

أما الإحسان للخلق: فهو بذل الخير الديني والدنيوي لهم، وكف الأذى عنهم.

الخير الديني: كتعليم العلم النافع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونحو ذلك.

والخير الدنيوي: كأن تبذل لهم المال، أو الجاه، أو نحو ذلك.

وقوله: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك): أشار بهذا الجواب إلى أن الإحسان على مرتبتين:

الأولى: مرتبة الطلب.

والثانية: مرتبة الهرب.

فالمرتبة الأولى:

أن تعبد الله كأنك تراه؛ فتكون مستحضرا ببصيرتك لهذا المقام، وهذه مرتبة الطلب.

والمرتبة الثانية:

أن تعبد الله وأنت تعلم أنه يراك، ومطلع على سرك وعلانيتك لايخفى عليه شيء؛ فتحذره وتخافه، وهذه مرتبة الهرب.

وكلتاهما مرتبتان عظيمتان؛ لكن الأولى أكمل وأفضل، ولذلك أخر النبي ﷺ المرتبة الثانية، والله أعلم.

(والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾): هذا دليل الإحسان.

أي: أن الله مع الذين اتقوا ما نهى الله عنه، والذين هم محسنون في العمل، وهذه معية خاصة، وهي معية الحفظ والنصر والتأييد.

ومعية الله على قسمين:

١- معية عامة:

وهي معية العلم والإحاطة والسمع والبصر والقدرة وغير ذلك من خصائص ربوبية الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وهذه المعية للخلق جميعا؛ مؤمنهم وكافرهم، وبرهم وفاجرهم.

٢- معية خاصة:

وهي معية النصر والحفظ والتأييد.

قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وقال عزّ وجلّ عن موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]

وهذه المعية خاصة بعباد الله المؤمنين.

ووجه الدلالة من الآية: أن الله رغب في الإحسان، وأخبر أنه مع المحسنين بحفظه ونصره وتأييده.

(وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾): في جميع أمورك؛ فإنه ناصرك وحافظك ومؤيدك.

والتوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار.

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: أي: يراك في جميع حركاتك وسكناتك، وفي صلاتك حال قيامك وركوعك وسجودك.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: سميع لأقوال عباده، عليم بأحوالهم وأفعالهم.

ووجه الدلالة من الآية: أن الله مطلع على عبده في حال صلاته وعبادته، وفي شأنه كله.

(وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾): أي: وما تكون يا أيها النبي في أمر وخطب، وما تتلو من قرآن ولا تعمل أنت وأمتك من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه، أي: تدخلون فيه.

ووجه الدلالة من الآية: أن الله مطلع على عباده وعلى جميع أعمالهم لاتخفى عليه خافية، وأنه يجب عليهم مراقبته سبحانه، وإخلاص العمل له.

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: (أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا). قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ:(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ). قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ). قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: (مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ). قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: (أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ). قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: (يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟). قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم).

الشرح:

(والدليل من السنة): أي: والدليل على مراتب الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان من سنة النبي ﷺ.

(حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه): أخرجه مسلم، وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(شديد بياض الثياب): أي: عليه ثياب شديدة البياض لنظافتها.

(شديد سواد الشعر): أي: أنه شاب، وأنه لا يظهر عليه أثر السفر من شعث الشعر ونحوه.

وفي هذا دليل على استحباب تحسين الثياب والهيئة والاهتمام بالنظافة عند الدخول على أهل العلم والفضل، فإن جبريل عليه الصلاة والسلام أتى معلمًا للناس بحاله ومقاله.

(لا يرى عليه أثر السفر): لأن ثيابه شديدة البياض، وشعره شديد السواد، فليس عليه آثار السفر من غبار وشعث شعر، ونحو ذلك مما يعتري المسافر في ذلك الوقت.

(ولا يعرفه منا أحد): أي: وليس من أهل المدينة فهو غريب.

فتعجب الصحابة من هذا الرجل الذي ليس من أهل البلد، وجاء مسافرا وليس عليه أثر السفر.

(فجلس إلى النبي ﷺ؛ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه): قيل: معناه أن الرجل الداخل وضع كفيه على فخذي نفسه وجلس على هيئة المتعلم.

والصحيح أن الضمير في قوله: (على فخذيه) يعود على النبي ﷺ كما جاء في رواية عند النسائي: (ثم وضع يده على ركبتي النبي ﷺ).

(وقال: يا محمد): لعله فعل هذا مبالغة في تعمية أمره؛ ليقوي الظن بأنه من جفاة الأعراب، أو لينبه للإصغاء إليه، والله أعلم.

(قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه): ووجه العجب أن السائل عادة يكون جاهلا، والمصدق يكون عالمًا فكيف يجتمع هذا وهذا؟!

كما أن هذا كلام خبيرٍ بالمسؤول عنه، ولم يكن في ذلك الوقت من يعلم هذا غير النبي ﷺ.

ولكن هذا لأن السائل في الحقيقة هو جبريل عليه الصلاة والسلام الذي ينزل بالوحي على النبي ﷺ.

والحكمة من ذلك أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتاهم يعلمهم دينهم كما ذكر النبي ﷺ ذلك في آخر الحديث.

(قال: أخبرني عن الساعة): أي: متى تقوم الساعة؟ والمراد يوم القيامة.

(قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل): يعني: أنا لا علم لي بوقتها، وأنت كذلك.

(قال: فأخبرني عن أماراتها): أي: علاماتها.

(قال: أن تلد الأمة ربتها): بتاء التأنيث أي: سيدتها.

وفي رواية: (ربها).

وقد اختلف العلماء في معنى هذا:

فقيل: هو هنا كناية عن اتساع الإسلام وكثرة أولاد السراري؛ حتى تصير الأم كأنها أمة لأبنائها من حيث إنها ملك لأبيهم.

وقيل: هو كناية عن فساد الحال وغلبة الجهل فيكثر بيع أمهات الأولاد فيتداولهن الملاك فيشتري الرجل أمه وهو لا يشعر.

وقيل: هو كناية عن كثرة العقوق بأن يعامل الولد أمه معاملة السيد أمته في الإهانة بالسب والضرب والاستخدام.

وقيل غير ذلك، والله أعلم.

(وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان): أي: أن أهل البادية الفقراء، تنبسط لهم الدنيا حتى يتباهوا في إطالة البنيان.

(قال: فمضى، فلبثنا مليا): أي: زمنا بعد انصرافه.

(قلنا: الله ورسوله أعلم): هذا في حياة النبي ﷺ، أما بعد موته فيقتصر على: (الله أعلم).

(قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم): أي: قواعد دينكم ومراتبه.

وفي هذا دليل على أن السؤال الحسن يسمى علما وتعليما؛ لأن جبريل عليه الصلاة والسلام لم يصدر منه سوى السؤال، ومع ذلك فقد سماه معلما.

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون نَبِيًّا وَرَسُولًا. نُبِّئَ بـ(اقْرَأْ)، وَأُرْسِلَ بـ(الْمُدَّثِّرْ)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

الشرح:

(الأصل الثالث): أي: من الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها، وهي: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمدًا ﷺ.

(معرفة نبيكم محمد ﷺ): معرفة النبي ﷺ أصل عظيم يجب علينا معرفته، فهو المبلِّغ لدين الله، فلانعرف ما يقربنا إلى الله وثوابه، وما ينجينا من غضبه وعقابه؛ إلا بما جاء به النبي ﷺ.

ومعرفته ﷺ تتضمن أمورا أشار المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ إلى خمسة منها:

الأول: معرفة نسبه.

الثاني: معرفة عمره ومكان ولادته ومهاجره.

الثالث: معرفة حياته النبوية وهي ثلاث وعشرون سنة.

الرابع: معرفة بم نُبئ، وبم أُرسل.

الخامس: معرفة ما أرسل به وهو توحيد الله عزَّ وجلّ.

(وهو: محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم): محمَّد: اسم مفعول من حَمَد فهو محمَّد، إذا كان كثير الخصال التي يحمد عليها، وقد ألهم الله أهله أن يسموه محمدا لما عُلم من جميل صفاته وكثرة محامده.

وقد تكرر هذا الاسم في القرآن في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران١٤٤].

وأسماؤه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كثيرة، وكثرة الأسماء عند العرب تدل على شرف المسمى ورفعته.

ومن أسمائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أحمد، والماحي، والحاشر، والعاقب.

ودليل هذه الأسماء ما جاء في البخاري (٤٨٩٦)، ومسلم (٢٣٥٤) عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي؛ الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ؛ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ**». وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِي.

ونسب النبي ﷺ هو: محمَّد بن عبد الله بن عبد المُطَّلِب بن هاشم بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرَّة بن كَعب بن لؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنَانَة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إِلْيَاس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعدِّ بن

عدنان.

وإلى عدنان معلوم الصحة، متفق عليه بين النَّسَّابين، ولا خلاف فيه البتة، وما فوق عدنان مختلف فيه.

(وهاشم من قريش وقريش من العرب): ويدل على ذلك حديث وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ عند مسلم (٢٢٧٦) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**».

ومعنى اصطفى: اختار، وصفوة الشيء؛ خالصه.

فرب العزة جل جلاله اصطفى كنانة، وهو ابن خزيمة بن مُدرِكة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، وهم أَولاد نضر بن كنانة، وكانوا تفرَّقوا في البلاد، فجمعهم قُصيُّ بن كِلاب في مكة، فسُمُّوا قريشا؛ لأنه قرَشَهم، أي: جَمَعَهم، واصطفى من قريش بني هاشم، وهم بنو هاشم بن عبد مناف بن قُصيِّ بن كِلاب، وينتهي نسبه إلى عدنان، واصطفاه ﷺ من بني هاشم أشرف الأنساب وأكرمها.

فمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أفضل الخلق نفسا، وأفضلهم نسبا؛ اصطفاه الله تعالى واختاره من أشرف الأنساب، وفضله على الخلق أجمعين، فهو سيد ولد آدم كلهم، وأعظمهم فضلا، وهو أول من يبعث يوم القيامة، وأول

من يشفع، وأول من تُقبل شفاعته، وأول من يفتح له باب الجنة، وهو أكثر الأنبياء تبعا.

كما في مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**».

وفي مسلم (١٩٧)- أيضًا - عن أنس أن النبي ﷺ قال: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**».

وفي رواية: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**».

(والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام): العرب هم خلاف العجم، وسموا عربا؛ قيل: لأن البلاد التي سكنوها تسمى العربات، وقيل: الذين تكلموا بلسان يعرب بن قحطان. المصباح المنير.

وظاهر كلام المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أن العرب كلهم العدنانية والقحطانية من ذرية نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

والمشهور وهو قول جمهور أهل الأنساب أن القحطانية ليسوا من ذرية إسماعيل، وذهب إلى ذلك ابن حزم في جمهرة أنساب العرب، ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليهما.

وقيل: أنهم من ذرية إسماعيل عليه الصلاة والسلام، ورجح هذا الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وبوب على ذلك في صحيحه (باب نِسْبة اليمن إلى إسماعيل)، وأسند تحته حديث سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق، فقال: ارموا بني إسماعيل؛ فإن أباكم كان راميا.

ورجحه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح.

وأما العدنانية فاتفق أهل الأنساب أنهم من ذرية إسماعيل عليه الصلاة والسلام، ونقل الإجماع على ذلك ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ في الإنباه على قبائل الرواة.

(الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام): الخلة: أرفع من المحبة، وهي صفاء المودة التي توجب الاختصاص.

والخليل لقب لنبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولم يتخذ الله سبحانه وتعالى من خلقه خليلًا إلا نبينا محمد ﷺ وإبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ فالخلة خاصة بهما، والمحبة للجميع.

(وله من العمر ثلاث وستون سنة): أي: أن النبي ﷺ توفي وعمره ثلاث وستون سنة، ويدل على ذلك أدلة منها ما جاء في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

(منها أربعون قبل النبوة): أي: نبئ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو ابن

أربعين سنة، ويدل على هذا ما رواه البخاري (٣٩٠٢) ومسلم (٢٣٥١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكُثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ).

(وثلاث وعشرون نبيًّا ورسولاً): أي: أن مدة النبوة ثلاث وعشرون عاما، وهذا المشهور الذي عليه الجمهور أن النبي ﷺ أقام بمكة قبل النبوة أربعين سنة، وأقام بها بعد النبوة ثلاث عشرة سنة، وأقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

(نبئ بـ (اقرأ)): حين أنزلت عليه الخمس الآيات الأولى من سورة العلق، وهي قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١-٥]

(وأرسل بالمدثر): حين أنزلت عليه الآيات الأولى من سورة المدثر، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ...﴾ الآيات.

(وبلده مكة): ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ١-٣]

وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾

[محمد: ١٣]. أي: مكة.

وفي سنن الترمذي (٣٩٢٥) من حديث عبدالله بن عدي بن الحمراء قال: (رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ واقفًا على الحزورةِ في سوقِ مَكَّةَ؛ فقالَ: «**واللهِ إنَّكِ لخيرُ أرضِ اللهِ، وأحبُّ أرضِ اللهِ إلى اللهِ، ولولا أنِّي أُخرِجتُ منكِ ما خرجتُ**».

(وهاجر إلى المدينة): أي: هاجر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى المدينة بعد أن تآمر الكفار على قتله ﷺ؛ فتغيب في الغار ثم سار هو وأبوبكر مهاجرا إلى المدينة بعد أن بايعوه على النصرة والمؤازرة.

وكانت المدينة في الجاهلية تسمى (يثرب)، كما في في البخاري (١٨٧١)، ومسلم (١٣٨٢) من حديث أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهُ ﷺ: «**أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ القُرَى، يَقُولُونَ يَثْرِبُ، وَهِيَ المَدِينَةُ**».

وبعد هجرة النبي ﷺ صارت تسمى المدينة وطيبة وطابة.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم: (وأما "يثرب" فهو اسمها في الجاهلية؛ فسماها الله تعالى المدينة، وسماها رسول الله ﷺ طيبة وطابة) اهـ.

❊ ❊ ❊

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر: ١-٧]. وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ مِنِ الشِّرْكِ. ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

الشرح:

(بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد): أي: ينذرهم عن الشرك ويحذرهم منه، ويدعوهم إلى توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

وبدأ بالشرك؛ لأن العبادة لا تصح مع وجود المنافي، ثم ثنى بالتوحيد؛ لأنه أوجب الواجبات ولايرفع عمل إلا به.

(والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾): هذه أول آية أُرسل بها النبي ﷺ.

وقوله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: أي: ينذر عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد.

وبهذا حصل الإرسال، كما حصل بالأول-اقرأ- النبوة.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أي: عظمه بالتوحيد.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أي: طهر عملك من الشرك، وطهر نفسك من الذنوب، وطهر ثيابك من النجاسة.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: الرجز: الأصنام، أي: واهجر الأصنام والأوثان، وتبرأ من عبادتها وأهلها، كما قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠]

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾: أي: لا تعط العطية تلتمس أكثر منها.

وقيل: لا تمنن بعملك على ربك تستكثره.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾: أي: اصبر لحكم ربك الشرعي والقدري؛ فاصبر على طاعته وامتثال أمره، واصبر على ما أوذيت في الله.

(أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد): أي: استمر على الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك عشر سنين، قبل أن تفرض الشرائع، وإن كانت قد فرضت بعض الشرائع في الجملة ودعا إليها النبي ﷺ.

(وبعد العشر عرج به إلى السماء): أي: بعد العشر عُرج به ﷺ إلى السماء مع جبريل عليه الصلاة والسلام وفتحت له السموات إلى موضع رفيع فوق السماء السابعة حتى سمع فيه صريف الأقلام.

والإسراء والمعراج كان يقظة لا مناماً، وكان بالروح والجسد معاً، وكان مرة واحدة، واختلف في تحديده:

فقيل: قبل الهجرة بثلاث سنين.

وقيل: بسنة ونصف.

وقيل: بسنة.

وقيل غير ذلك.

ولا يُعلم في أي شهر عُرج بالنبي ﷺ، وما اشتهر عند العامة أنه في شهر رجب فغير صحيح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في البداية والنهاية (٢/ ١٠٧): (ومن الناس من يزعم أن الإسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب، وهي ليلة الرغائب التي أحدثت فيها الصلاة المشهورة، ولا أصل لذلك، والله أعلم) اهـ.

(وفرضت عليه الصلوات الخمس): أي: فرضت الصلوات الخمس ليلة المعراج بمكة قبل الهجرة، ويدل على هذا حديث الإسراء والمعراج في الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكانت أول ما فرضت الصلاة ركعتين، ثم لما هاجر النبي ﷺ أُتمت الرباعية، ويدل على هذا حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الصحيحين قالت: (أول ما فُرِضت الصلاة ركعتين، فأُقِرَّت صلاة السفر، وأُتِمَّت صلاة الحضر).

(وصلى في مكة ثلاث سنين): على قول بعض أهل العلم؛ فهذا مختلف فيه، كما تقدم.

(وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة): أي: بعد الثلاث عشرة من بعثته ﷺ؛ أُمر بالهجرة.

وكان اختيار المدينة مهاجرا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بوحي من الله.

كما في البخاري (٣٣٥٢)، ومسلم (٤٢١٧) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهَلِي -أي: ظني- إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ**».

وفي البخاري (١٨٧١)، ومسلم (١٣٨٢) من حديث أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهُ ﷺ: «**أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ القُرَى، يَقُولُونَ يَثْرِبُ، وَهِيَ المَدِينَةُ**».

* * *

وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧-٩٩]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:(نزلت هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ).

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: (لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا).

الشرح:

(والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام): الهجرة في اللغة: الترك.

وأما في الشرع فهي كما عرفها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

وبلد الشرك: هي البلد التي تقام فيها شعائر الكفر، وأغلب أهلها كفار.

والهجرة على ثلاثة أنواع:

هجرة العمل، وهجرة العامل، هجرة المكان.

هجرة العمل: هي أن يهجر الإنسان ما نهى الله عنه من الكفر والبدع والمعاصي، وفي البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**».

وهجرة العامل: كهجر الكافر والمبتدع والمجاهر بالمعصية، ونحو ذلك.

(**والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام**): أي: واجبة على كل مسلم لايستطيع إظهار دينه في بلد الكفر.

(**وهي باقية إلى أن تقوم الساعة**): أي: أن الهجرة باقية لا تنقطع حتى تقوم الساعة.

(**والدليل**): أي: والدليل على وجوب الهجرة من بلد الكفر التي لايستطيع أن يقيم فيها دينه إلى بلد الإسلام.

(**قوله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾): أي: إن الذين لم يهاجروا من بلاد الكفر التي لايستطيعون أن يقيموا

فيها دينهم، وهم قادرون على الهجرة إلى بلاد الإسلام؛ تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، وتوبخهم بأن أرض الله واسعة؛ فلِمَ لمْ يهاجروا فيها؟!

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾: هذا الوعيد الشديد؛ دليل على أن ترك الهجرة مع القدرة على ذلك؛ كبيرة من الكبائر.

وروى الترمذي (١٦٠٤) من حديث جرير بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ**».

﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّٗا غَفُورٗا﴾: أي: إلا المستضعفين العاجزين عن الهجرة لعدم قدرتهم على ذلك؛ فأولئك تجاوز الله عنهم وعفا عنهم؛ لعدم استطاعتهم.

(وقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾): أمر الله عباده المؤمنين في هذه الآية؛ بالهجرة من البلد الذي لايقدرون فيه على إقامة دينهم إلى أرض الله الواسعة حيث يمكنهم إقامة دينهم.

وناداهم باسم الإيمان؛ فدل على أن ترك الهجرة لا يسلب الإيمان، وإنما ذلك كبيرة من الكبائر.

(قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: نزلت هذه الآية في المسلمين الذين بمكة ولم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان): أي: وذكر البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأن ما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ

هنا هو معنى ما نقله البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره عن جماعة من السلف لا نصَّ لفظه.

والبغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفَرَّاء البَغَوِيّ، إمام حافظ وفقيه ومجتهد، ويُلقَّب بمُحيي السنة، صاحب التفسير وشرح السنة، وغير ذلك من المصنفات.

(والدليل على الهجرة من السنة): وأنها باقية إلى قيام الساعة.

(قوله ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»): أخرجه أحمد (١٦٩٠٦)، وأبوداود (٢٤٧٩) من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في الإرواء (١٢٠٨).

ومعناه: أن الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام باقية لاتنقطع حتى تنقطع التوبة، أي: حتى لاتقبل التوبة.

فالهجرة باقية لاتنقطع، وأمَّا ما جاء في البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (١٣٥٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**».

فالمراد: لاهجرة من مكة إلى المدينة بعد فتح مكة؛ لأن مكة صارت بلد إسلام.

وأما ثبوت الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام وبقاؤها؛ فمعلوم بالنص

وإجماع من يعتد به من أهل العلم.

وأما السفر إلى بلد الكفر فلا يجوز إلا بشروط ثلاثة:

الأول: أن يكون عنده علم يدفع به الشبهات.

الثاني: أن يكون عنده دين يحميه من الشهوات.

الثالث: أن يكون مضطرا لذلك؛ كالسفر للعلاج ونحو ذلك.

* * *

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالأَذَانِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا تُوُفِّيَ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَدِينُهُ بَاقٍ. وَهَذَا دِينُهُ.

لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [الزمر: ٣٠- ٣١].

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾ [طه: ٥٥]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨﴾ [نوح: ١٧- ١٨]. وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ

تَعَالَى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١]

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧]

الشرح:

(فلما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام): أي: أن النبي ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة واستقر بها، وانتشر التوحيد، وأصبحوا آمنين على أنفسهم، متمكنين من القيام بطاعة ربهم؛ أمر ببقية شرائع الإسلام.

(مثل: الزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأذان): أما الصلاة فمعلوم أنها فرضت في مكة، وأما الزكاة؛ فالصحيح أنها فرضت في مكة، كما قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٦-٧]، وهذه الآية مكية، وكما قال: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤١]، وهي مكية أيضا، ولكن أنصباؤها، ومصارفها، وتفاصيل أحكامها؛ كل ذلك شرع في المدينة.

والصوم فرض في المدينة في السنة الثانية من الهجرة، فتوفي النبي ﷺ وقد صام تسع رمضانات بالإجماع.

والحج فرض في المدينة، في السنة التاسعة للهجرة على القول الراجح من

أقوال أهل العلم.

والجهاد فرض في السنة الثانية من الهجرة.

والأذان فرض في السنة الأولى من الهجرة، وقيل: في السنة الثانية.

(والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر): قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عام فرض على كل أحد بحسبه كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ...﴾ [آل عمران: ١١٠]

(أخذ على هذا عشر سنين): هذه هي مدة بقاء النبي ﷺ في المدينة، وقد تقدم حديث ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك، وفيه: (ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ).

(وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه): وكانت وفاته ﷺ سنة إحدى عشرة من الهجرة، في شهر ربيع الأول، وكان موته ﷺ أعظم مصاب أصيبت به الأمة.

(ودينه باق، وهذا دينه): مؤيد محفوظ إلى يوم القيامة؛ لأن الله تكفل بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

(لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه): كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وفي مسلم (١٨٤٤) عَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أن النبي ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**».

(والخير الذي دل عليه: التوحيد): وهو إفراد الله بالعبادة.

وهو أوجب الواجبات، وأصل كل خير، ولأجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب.

(وجميع ما يحبه الله ويرضاه): من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

(والشر الذي حذر منه: الشرك): وهو عبادة غير الله مع الله، وهو أصل كل شر، وأول ما أمر الله نبيه ﷺ الإنذار عنه قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢]، أي: عن الشرك.

(وجميع ما يكرهه الله ويأباه): من الأقوال والأعمال.

(بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين: الجن والإنس): فرسالة النبي ﷺ عامة، بإجماع الأمة، وطاعته واجبة على الجميع.

(والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾: فبعثه الله للناس كافة، وهذا من شرفه ﷺ أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث للناس كافة كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ

وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]،

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وفي البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) عن جَابِرِ بنِ عَبدِاللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «...وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً».

(وأكمل الله به الدين): وهذه من أعظم النعم التي أنعم الله بها على هذه الأمة.

(والدليل: قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾): فارضوه لأنفسكم؛ فإنه الدين الذي أحبه الله، ورضيه، وبعث به أفضل الرسل، وأنزل به أشرف الكتب.

وهذه الآية نزلت في حجة الوداع، في يوم عرفة، كما في البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧) عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قَالَ عُمَرُ: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ.

(والدليل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾): أي: أن النبي ﷺ ومن أُرسِل إليهم جميعا ميتون، وسينقلون من هذه الدار لامحالة كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ثم يوم القيامة سيختصمون عند الله؛ فيحكم بينهم بالحق، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا.

(والناس إذا ماتوا يبعثون): البعث: هو إحياء الله الموتى وإخراجُهم من قبورهم يوم القيامة؛ للحساب والجزاء.

والإيمان باليوم الآخر وما فيه من البعث والحساب هو الركن الخامس من أركان الإيمان.

(والدليل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾): أي: فمن الأرض مبدؤكم؛ فإن أباكم آدم خلقه الله من تراب الأرض، وفي الأرض نعيدكم فتصيرون إليها إذا متم وتدفنون فيها، ومن الأرض نخرجكم يوم القيامة للحساب والجزاء.

(وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾): أي: يعيدكم في الأرض إذا متم، ثم يخرجكم منها بعد البعث أحياء.

(وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم): إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

(والدليل قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾): فيجازى الجميع في يوم القيامة، على ما قدموه من خير وشر، قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]، وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

(ومن كذب بالبعث كفر): لتكذيبه الله ورسوله وإجماع المسلمين.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٢٩ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٩-٣٠].

(والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾): كفرهم الله بإنكارهم البعث.

﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾: أمر الله نبيه ﷺ أن يقسم بربه على وقوع البعث والمعاد.

وقد ورد أمر الله عزَّ وجلَّ لنبيه ﷺ أن يقسم في ثلاثة مواضع في القرآن:

الموضع الأول: هذا الذي ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والموضع الثاني: في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ

لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣]،

والموضع الثالث: في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ [سبأ: ٣].

﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: أي: أن البعث سهل يسير على الله، وهو أهون من بدء الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

* * *

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ). وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا اله إِلا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: (رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ).

وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

الشرح:

(وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين): أي: أرسل الله جميع الرسل مبشرين بالجنة وعظيم الأجر لمن أطاعهم، ومنذرين من النار وعذاب الله لمن عصاهم.

(والدليل قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾): أي: لتقوم الحجة عليهم؛ فلايقولوا يوم القيامة: ما بعث الله إلينا رسلا، ولا أنزل إلينا كتبا.

(وأولهم نوح عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين؛ والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾): ويدل أيضاً على أن نوحاً عليه الصلاة والسلام هو أول الرسل، ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل، وفيه: «**فَيَأْتُونَ نُوحًا فيَقولونَ: يا نُوحُ، إنَّكَ أنْتَ أوَّلُ الرُّسُلِ إلى أهْلِ الأرْضِ، وقدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، ألَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟..**» الحديث.

وقوله: (وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين): فهو آخر الرسل إلى أهل الأرض، وهو خاتم النبيين؛ فلانبي بعده، ويدل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب:

فقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وأما السنة:

فالأحاديث الدالة على ذلك كثيرة معلومة، منها: ما رواه الترمذي (٢٢١٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعا وفيه: «**وأَنا خاتمُ النَّبيِّينَ لاَ نبيَّ بَعدي**».

وقد أجمع المسلمون على ذلك، ومن ادعى النبوة بعده ﷺ؛ فإنه يعتبر كافرا كفرا مخرجا من الملة، والعياذ بالله.

(وكل أمة بعث الله إليها رسولا من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾): أي: أن الله بعث في كل أمة من الأمم رسولا يدعوهم إلى توحيد الله، وينهاهم عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]

وقال: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

(وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله):

كما في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

والطاغوت في اللغة: مشتق من طغى، أي: جاوز القدر.

وفي الاصطلاح: فُسِّر بتفسيرات عديدة، أحسنها ما ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إعلام الموقعين؛ حيث قال:

(قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع)): أي: كل شيء يتعدى به العبد حده، ويتجاوز قدره؛ يصير به طاغوتا، سواء كان معبودا بأي نوع من أنواع العبادات، أو متبوعا في معصية الله، أو مطاعا من دون الله فيحل ما حرم الله، أو يحرم ما أحلّ الله.

(من معبود): يشمل كل ما عُبد من دون الله أو مع الله وهو راض؛ فهو طاغوت.

(أو متبوع): كالعلماء؛ فيتبعونهم في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله.

فالعلماء وإن كانوا مرجع الناس؛ إلا أنهم ليسوا معصومين؛ فلا يجوز اتباعهم فيما يخالف شرع الله.

(أو مطاع): كالأمراء، إذا أمروا بما يخالف شرع الله؛ فلايجوز طاعتهم في ذلك.

(والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة): أي: خمسة بالتأمل والاستقراء.

(إبليس لعنه الله): وهو رأسهم ومغويهم، كما قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ۝١١٧ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۝١١٩ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١١٧-١٢٠]، وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦].

(ومن عبد وهو راض): سواء عبد مع الله، أو من دون الله بأي نوع من أنواع العبادة، وكان راضيا بذلك.

(ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه): أي: من دعا الناس لعبادته مع الله أو من دون الله بأي نوع من أنواع العبادة، سواء استُجيب له أم لم يستجب له؛ فهو من رؤوس الطواغيت.

(ومن ادعى شيئا من علم الغيب): كالمنجمين والعرافين، ونحو ذلك.

والغيب: هو كل ما غاب عنك.

وعلم الغيب ينقسم إلى قسمين: مطلق، ونسبي.

الأول: علم الغيب المطلق:

وما يكون في المستقبل لايعلمه إلا الله كما قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

وقد يطلع الله من الرسل على شيء من ذلك، كما قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٨].

ومن ادعى علم الغيب المطلق؛ فهو كافر ومن رؤوس الطواغيت.

الثاني: علم الغيب النسبي:

وهو غيب الواقع؛ فهذا يكون معلوما لشخص، ومجهولا لآخر؛ كأن يعلم الرجل ما يكون في بيته، أو محل عمله، أو نحو ذلك.

(ومن حكم بغير ما أنزل الله): أي: من استحل ذلك، معتقدا أنه جائز، أو أن له أن يحكم وحكمه كحكم الله أو أفضل منه؛ فهو كافر ومن رؤوس الطواغيت، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (٣/ ٢٦٧): (والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه، أو حرم الحلال المجمع عليه، أو

بدل الشرع المجمع عليه، كان كافرًا مرتدًّا باتفاق الفقهاء، وفي مثل هذا نزل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، أي: المستحل للحكم بغير ما أنزل الله)اهـ

(والدليل قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾): ليس في الآية دليل على حرية الأديان، وإنما الآية محمولة على أهل الكتاب الذين يدفعون الجزية، كما قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وقيل: هي منسوخة بآيات القتال.

وإلا فالكفار يُكرهون على الدخول في الإسلام؛ فإما أن يُسْلِموا أو يُقَتَّلوا كما قال تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]،

وفي البخاري (٣٠١٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ**».

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾: أي: قد تميز الحق من الباطل، والهدى من الضلال.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾: العروة الوثقى: أي: القوية التي لاتنفصم.

وهي: الإسلام.

(وهذا هو معنى لا اله إلا الله): فإن معنى (لا إِلـه إِلّا الله) كفر بالطاغوت وإيمان بالله، والآية قد اشتملت على ذلك.

(وفي الحديث: (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله). والله أعلم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم): الحديث رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وغيرهما عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الإرواء (٢/ ١٣٨).

وقوله: (رأس الأمر الإسلام): أي: رأس الدين الذي جاء به النبي ﷺ هو الإسلام.

(وعموده الصلاة): أي: عمود الإسلام الصلاة؛ لعظم شأنها؛ فهي الركن الثاني من أركان الإسلام.

(وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله): ذروة الشيء أعلاه، وذروة البعير سنامه، وهو أعلاه وأرفعه، أي: أن سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله؛ لما فيه من بذل المهج التي ليس شيء أنفس منها.

ثم ختم المصنف رحمه الله تعالى مصنفه برد العلم إلى الله سبحانه، والصلاة والسلام على نبيه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبهذا تمَّ ما يسر الله من شرحٍ لهذا السفر المبارك، والله أسأل أن ينفع بهذا الشرح كما نفع بالأصل، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، نافعا لي ولعباده، وحجة لي لا علي.

والحمدلله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

المصادر

المصادر

[١] تفسير القرآن العظيم لابن كثير

[٢] تفسير الطبري

[٣] تفسير القرطبي

[٤] تفسير البغوي

[٥] زاد المسير لابن الجوزي

[٦] تفسير السعدي

[٧] صحيح البخاري

[٨] صحيح مسلم

[٩] سنن أبي داود

[١٠] سنن الترمذي

[١١] سنن النسائي

[١٢] سنن ابن ماجة

[١٣] مسند أحمد

[١٤] مستدرك الحاكم

[١٥] إرواء الغليل للألباني

[١٦] السلسلة الصحيحة للألباني

[١٧] السلسلة الضعيفة للألباني

[١٨] الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين للوادعي

[١٩] لسان العرب لابن منظور

[٢٠] النهاية لابن الأثير

[٢١] التعريفات للجرجاني

[٢٢] مفردات القرآن للراغب الأصفهاني

[٢٣] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية

[٢٤] مدارج السالكين لابن القيم

[٢٥] إعلام الموقعين لابن القيم

[٢٦] إغاثة اللهفان لابن القيم

[٢٧] مفتاح دار السعادة لابن القيم

[٢٨] زاد المعاد لابن القيم

[٢٩] الجواب الكافي لابن القيم

[٣٠] بدائع الفوائد لابن القيم

[٣١] شرح مسلم للنووي

[٣٢] فتح الباري للحافظ ابن حجر

[٣٣] عمدة القاري للبدر العيني

[٣٤] البداية والنهاية لابن كثير

[٣٥] جمهرة أنساب العرب لابن حزم

[٣٦] الإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر

[٣٧] القول المفيد لابن عثيمين

[٣٨] حاشية ابن قاسم على ثلاثة الأصول

[٣٩] شرح ابن باز على ثلاثة الأصول

[٤٠] شرح ابن عثيمين على ثلاثة الأصول

[٤١] شرح الفوزان على ثلاثة الأصول

[٤٢] فتاوى اللجنة الدائمة

[٤٣] مجموع فتاوى ابن باز

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة الشيخ أبي اليمان عدنان المصقري ٥
المقدمة ٧
ترجمة موجزة للإمام محمد بن عبدالوهاب النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ ٩
المسائل الأربع ١٤
الأولى: العلم ١٤
الثانية: العمل به ١٦
الثالثة: الدعوة إليه ١٦
الرابعة: الصبر على الأذى فيه ١٧
أقسام الصبر ١٧
مراتب جهاد النفس ١٨
المسائل الثلاث ٢١
الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ٢١
الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته ٢٥

الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لايجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب ٢٧
معنى الحنيفية ٣١
معنى يعبدون ٣٢
أعظم ما أمر الله به التوحيد ٣٣
أنواع التوحيد ٣٣
أعظم ما نهى الله عنه الشرك ٣٤
الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ٣٦
الأصل الأول: معرفة العبد ربه ٣٧
الرب هو المعبود ٤٤
أنواع العبادة التي أمر الله بها ٤٧
مراتب العبادة ٤٨
أنواع الدعاء ٥١
الخوف ٥٣
الرجاء ٥٥
التوكل ٥٧
الرغبة ٥٩

الرهبة ٥٩
الخشوع ٥٩
الخشية ٦١
الإنابة ٦١
الاستعانة ٦٤
الاستعاذة ٦٦
الاستغاثة ٦٩
الذبح ٦٩
النذر ٧٢
الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة ٧٤
مراتب الدين ٧٥
أركان الإسلام ٧٧
شهادة أن لا إله إلا الله ٧٧
شروط لا إله إلا الله ٨١
دليل شهادة أن محمدًا رسول الله ٨٥
معنى شهادة أن محمدًا رسول الله ٨٦
دليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد ٨٨

دليل الصيام ٨٩
دليل الحج ٩٠
المرتبة الثانية: الإيمان ٩١
الإيمان بالله ٩٢
الإيمان بالملائكة ٩٣
الإيمان بالكتب ٩٤
الإيمان بالرسل ٩٤
الإيمان باليوم الآخر ٩٥
الإيمان بالقدر خيره وشره ٩٥
مراتب القدر ٩٥
الدليل على هذه الأركان الستة ٩٨
المرتبة الثالثة: الإحسان ٩٩
معية الله ١٠١
الأصل الثالث: معرفة النبي محمد ﷺ ١٠٧
الهجرة ١١٨
أنواع الهجرة ١١٩
حكم السفر إلى بلد الكفر ١٢٢

وفاة النبي ﷺ ١٢٥
الدليل على موته ﷺ ١٢٧
الإيمان بالبعث ١٢٨
الحكمة من إرسال الرسل ١٣٢
أول الرسل وأخرهم ١٣٢
الكفر بالطاغوت ١٣٤
رؤوس الطواغيت ١٣٥
الأول: إبليس لعنه الله ١٣٥
الثاني: من عبد وهو راض ١٣٥
الثالث: من دعا الناس إلى عبادة نفسه ١٣٥
الرابع: من ادعى شيئًا من علم الغيب ١٣٥
الخامس: من حكم بغير ما أنزل الله ١٣٦
رأس الأمر، وعموده، وذروة سنامه ١٣٨
المصادر ١٤١
فهرس الموضوعات ١٤٥

* * *

تم بحمد الله